

1 ـ خطاب في الليل ..

(برنادت) أيتها العزيزة :

فى ليل كينشاسا الحار الرطب ، تحت الناموسية المشبعة بالـ (DDT) التى يحاول البعوض اقتحامها للفتك بى ، يبدو الكلام عنك أو معك منعشًا ككوب من عصير الليمون البارد ...

في ليل كينشاسا الحار الجاثم كالخرتيت على روحى ، أستعيد مشاهد بيتنا الصغير وطفلتنا .. الأزهار التي تستبدلينها يوميًّا في ذلك الأصيص الأنيق .. مدخل البيت الذي زرعت فيه نباتات لا أعرف اسمها ولن أحفظه بعد ألف عام .. مذاق الأطباق التي تطهينها ..

فى ليل كينشاسا الكئيب ، يلذ لى أن أكتب لك هذا البريد الإلكترونى ، وأتصورك وأنت تطالعين السطور . كنت طيلة حياتى أمقت كتابة الخطابات لأنها تجعل الناس يردون .. فأضطر إلى الرد !.. لكننى اليوم أشعر أنها اختراع عبقرى ..

ما زلت أرى ابتسامتك الذكية المتفهمة ، وأسمع قرقرة سارة المحبية وهي نائمة في غرفتها ترنو إلى السقف وتحلم مع الظلال ..

أنا خلقت كي أكون هناك معك وليس هنا ..

لو كنت أريد الترقى فى عملى ، فالهدف أن أبلغ درجة وظيفية تجعلنى أنا من ينفى الآخرين ولا أحد ينفينى أنا ١٠. أنا أحب أفريقيا وأحمل لها كل تقدير .. إنها مليثة بالأسرار ويمكن للمرء أن يتعلم شيئًا جديدًا كل دقيقة ، لكن

الحقيقة هى أننى كذلك بحاجة إلى الاستقرار ... أريد نعمة المكان الواحد . بدت لى أنجاوانديرى هى هذا المكان الواحد لفترة لكنهم فى كل مرة ينزعون المسمار ليضعوه فى ثقب آخر.

سوف أحاول أن أنقل لك بعضًا من حياتى هنا ، ولعلنى أنجح فى ذلك ...،

كما تعرفين فإن وحدة الكونغو هى سافارى 7 .. أكبر وحدة سافارى فى أفريقيا كلها ، ولسوف تجدين أن وحدة سافارى الكاميرون أقرب لمدرسة أطفال صغيرة .

هكذا يمكن القول إننى صرت أعرف وحدات سافارى فى الكاميرون وكينيا وجنوب أفريقيا والكاميرون ، كما أننى عملت لفترة فى بوركينا فاسو.

المدير هنا أفريقى أسود اسمه آرثر برسين ، وهو من الطراز الذى يجعلك تشعرين أن اللون الأسود هبة .. فهو فاخر لامع له صوت ستريو غليظ مؤثر . أما مساعدته فهى من بقايا الاستعمار البلجيكى لكنها لطيفة فعلًا واسمها (آن ليراى) . هى لا تشبه اللعين (باركر) فى أى شىء لكنها تدخن كمحرقة الجثث ، . التوازن هنا واضح جدًا _ فالمدير أسود ونائبته بيضاء . هذا يحدث فى معظم وحدات سافارى.

الوحدة لها نفس شكل حرف L المميز لكل وحدات سافارى ، وخلفها تقف سيارات الإسعاف .. وهناك مهبط هليوكوبتر كالعادة.. لدينا هنا ثلاث طائرات . لكن المبانى أقدم من أى وحدة سافارى رأيتها مما يدلك على أن ترقيم سافارى 7 لا يدل على ترتيب البناء ، وإلا لكان اسمها سافارى 1.

لى غرفة ضيقة مشتركة مع طبيب ألمانى اسمه (يوهان) .. جاء مؤخرًا . لا أحب هذا كثيرًا خاصة أننى اعتدت الوحدة هنا ، لكنه على كل حال جراع عظام لا يستقر في غرفته لحظة واحدة .. الغرفة نظيفة مرتبة بعناية وهنال جهاز تكييف يعمل جيدًا .

نظرًا للتضخم يبدو أن المركز الرئيس في النمسا يفكر جديًا في غلق عدة وحدات سافاري منها سافاري 7 .. لحسن الحظ أنهم لا يفكرون في سافاري الكاميرون بعد . هذا يعنى أن الأطباء هنا في حالة معلقة بين البقاء والطرد أمقت هذا الشعور بشدة ، لكن هذا ديدن أي مشروع يعتمد على التبرعات الصحة مشروع فاشل في حد ذاته لكن مكسبه يتحقق على المدى البعيد . هذا كذلك يعنى أن بقائي هنا لن يطول ، وهو خبر جيد ..

لماذا انتدبوني هنا إذن ؟

ليس الأمر متعلقًا بنقص الأطباء هنا ، ولكن سياسة سافارى كما تعلمين تهدف إلى تدوير الأطباء على أماكن مختلفة لتتسع خبراتهم .. نسبة الإيدز هنا
عالية جدًّا على سبيل المثال ، كما أن البلاد تحمل أعلى نسبة وفيات أطفال في
العالم ، وهو شيء لابد أنه يحزنك .

بالطبع كانوا ينتظروننى هنا بحفاوة بالغة .. الطبيب المصرى العصبى ذو اللحية القصيرة الذى يحب الجراحة ويمقت الأمراض الباطنة .. هذا شخص مناسب جدًا لعنابر الحميات ١

صرخت واحتججت وزعمت أن لدى مرض فقدان مناعة ، لكن هؤلاء القوم لا يرحمون .. هكذا وجدت نفسى وسط الحميات مجهولة المصدر والملاريا المخية والليشمانيا والدرن ... إلخ .. هذه البلاد تتمتع بعدد هائل من الأمراض . لا تنسى يا ملاكى أن الكونغو تعنى أفريقيا .. هناك مستشفى عام فى كينشاسا ، وكثيرًا ما نتعاون لكن الأمر يحتاج لعدد هائل من الوحدات الصحية . الكونغو هى رقم 17 فى وفيات الأمهات ، ونصف الأطفال تحت خمس سنوات يعانون التقزم . مرض النوم قد قضى على نصف تعداد الذين يعيشون حول نهر الكونغو معى فى قسم الحميات طبيب كونغولى اسمه رونالد (فالدانو) .. وهو

معى فى قسم الحميات طبيب كونغولى اسمه رونالد (فالدانو) .. وهو فارع القامة جدًّا له عبنان واسعتان مندهشتان ، لكنى أشهد له بالبراعة ... أتعلم منه الكثير فعلًا .

هناك طبيب بلجيكى ملتح اسمه (برتران) وهو أقرب إلى السماجة ويمقت الكلام عامة .. إنه الطراز الذي لا يشكرك وعلى الأرجح لا يعتذر أبدًا .. من الأفضل في تعاملك مع هذا الطراز أن تعتبره أريكة ..

بعد وصولى بيومين جاءت طبيبة فرنسية اسمها (جولييت) .. أعتقد أنها جميلة لكنها مصرة على أن تبدو كذكر بثيابها وشعرها القصير .. معروقة الذراعين يمكنك عد كل عصب وكل عضلة .. لسبب ما تذكرنى بك جدًا برغم نحولها الشديد . تلك الهشاشة الراقية .. ليس لديها جرام من الدهن لا لزوم له .

هناك طبيب هندى اسمه (نظير) .. له لحية مشعثة ويضع عمامة .. بصراحة لا أفهم الوضع القانوني للعمامة هنا بالنسبة لمكافحة العدوى ، لكنه من السيخ ... لا يمكنه أن يكشف رأسه ، وهو الطبيب الوحيد في مجموعة العميات الذي تعيث إلى ته معه

نسيت أن أخبرك أن الحمى الصفراء متوطنة هنا.

هذا مرض وبيل كما تعرفين ، وهناك قسم خاص أقرب لمعزل . لكن لا تنسى أننا جميعًا أخذنا اللقاح المسمى D 17 والذى وجدوا أن جرعة واحدة منه قد تكفى طيلة العمر . الحمى الصفراء موجودة فى الكاميرون قطعًا لكن ليس بالكثافة التي تجدينها هنا . . كل الأمراض ليست بالكثافة الموجودة هنا .. وقد كان الجدرى متوطنًا فى حقبة ما قبل سبعينيات القرن الماضى .

الكونغو البلجيكى . . الذى جعل موبوتو اسمه زائير لفترة لا بأس بها ، ثم سرعان ما استرد اسمه القديم . .

لا أعرف ما سيحدث هنا ، ولا هل أمارس عادتى اللعينة في العثور على متاعب ... لكن الأمور تبدو مستقرة بعد قضية الطبيب (أناتول) الذى أوشك على قتل الوحدة كلها .. لقد جعله ظلم السلطة له يجن .. حكيت لك قصته في مقال سابق ..

أرجو أن تمر الأيام القادمة في سلام ... سوف أعود لك بالتأكيد ما لم تلتهمني الغوريلا أو يبقر وحيد القرن بطني ...

(برنادت) .. أنا مشتاق لك فعلًا . لا أعرف كم رجلًا في العالم يحب امرأته لهذا الحد ، لكنى بالتأكيد واحد من هؤلاء .. هذه هي مزية النفي الإجباري الذي أمر به .. إنه يُبقِي الحب متوهجًا .

2 - بذور مشاكل ..

(برنادت) العزيزة :

اكره أن أقول إنني بدأت المشاكل ، لكن هذه هي الحقيقة للأسف ..

(يوهان) الطبيب الألماني الذي يسكن معى في نفس الغرفة ، شاب في العقد الثالث من العمر .. له حاجبان كثان وتلك أهم علامة في وجهه ، ثم وجنتاه البارزتان ، وله شعر طويل يعقصه في شكل ذيل حصان في مؤخرة رأسه . قوى جدًا كأنه مصارع .

بالطبع لم أتشاجر معه لأن لديه ذيل حصان . تشاجرت معه بسبب ملحوظة عنصرية قالها . أو بمعنى أدق تعامل بها . . إنه يطلق على اسم (داعش ISIS) في مزيج من المزاح والإهانة . .

قلت له في غيظ إن ISIS التي أعرفها هي ربة الخصوبة والخير المصرية القديمة ، لكني لا أعرف عن أي داعش يتكلم ..

كان تفكيره خليطًا مضطربًا من الأفكار والانطباعات ، وقد افترض أن كونى عربيًّا مسلمًا ملتحيًّا يشير بلا جدال إلى كونى من الإرهابيين . نصف الغربيين في وحدة سافارى ملتحون . . اللحية لا تعنى شيئًا وإلا لكان (راسبوتين) هو قائد الإسلام العالمي ...

كانت لحظات لقائنا نادرة كما قلت لك .. جراح العظام ينعم بأقل القليل من الراحة في أي مستشفى . لكنه فعل ما يستطيع كي يجعل اللقاء عاصفًا . وقد أدركت أن حجمه لن يتيح لى ضربه .. هذه مزية كبرى وإلا لضربه وفصلت من الوحدة .. لكنى كنت سأفصل بضمير مستريح ..

تعلمت أن الغربيين غالبًا نموذج راق للتحضر، لكن السيئ فيهم لا بطاق وألعن من أى وغد تجده عندنا .. إنه مزيج من التعصب والغباء والغرور والفظاظة ..

من المهم للوقحين أن يكونوا ضخام الجثة حتى لا يتلقوا علقة ممن يستفزونهم . لو كان هذا الـ (يوهان) أضعف أو أقل وزنًا بضعة كيلوجرامات للاقى ساعات سوداء على يدى .

الحق أنه يذكرنى جدًّا بالإسرائيلى الوغد (أبراهام ليفى) فى وحدتنا . بالمناسبة هناك ثلاثة أطباء إسرائيليون هنا .. فتاتان وفتى . وأعتقد أننى لن أحتك بهم لحسن الحظ ...

قال لى (يوهان) ذات ليلة :

- « الحقيقة أن أوروبا مفتوحة أكثر من اللازم ... هناك ثقب في أوروبا يسمح بتسرب العث الذي يحاول التهام الحضارة نفسها .. أوروبا قارة قررت أن تنتجر »

كان منهمكًا في حلاقة ذقنه بالآلة الكهربية أمام مرآة صغيرة .. قلت له : - • والعث هو؟ •

- « كل ما لا ينتمى للحضارة الأوروبية »

أمقت هذا الطراز من الحمقى ... أنا لا أحوى ذرة تعصب ، وأعتقد أننى متحضر جدًّا .. متحضر أكثر من اللازم ، ولا أريد سوى أن تستمر الحياة ، لكن هذا الغبى يصر على أن يجعلنى عدوًّا باستفزازه الدائم ..

تعلمت أنه لا جدوى من الجدل مع هؤلاء متحدثًا عن الحضارة العربية والأندلس واكتشاف الدورة الرثوية والأسطرلاب وكيف أنكم كنتم في الكهوف بينما نحن نترجم التراث اليوناني والهندى .. إلخ ، فهم ضيقو الأفق إلى أقصى حد .. لهذا أفضل الصمت أو أشتم .. لقد عشت أربعين عامًا فلم أر أى شخص يغير وجهة نظره لأى سبب ومهما سطع الحق بوضوح ..

ززززززززززززززززززززززز ا صوت آلة الحلاقة ..

قلت له في برود :

د كان هناك واحد مثلك يؤمن أن فرنسا حمقاء بلهاء . . وتتحول إلى دولة
 تحكمها القردة السود القادمة من أفريقيا »

- ١ من هو ؟ إنه لحكيم ،

- د كان ألمانيًّا مثلك ... اسمه (أدولف هتلر) .. هذه تقريبًا كلماته في كتاب كفاحي ،

كان ككل الألمان يتحاشى ذكر (هتلر) كأنها سبة مشينة .. وقد احتقنت عروق رقبته لدى سماع كلامى . لكنها الحقيقة .. الرجل يردد نفس كلمات (أدولف هتلر) ، ويبدو أن فكرة الآرية المسيطرة والنزعة العنصرية لم تزل تمامًا .. هناك أشخاص يتحاشون الكلام عن (هتلر) لكنهم يتكلمون مثله بالضبط .. فذرزززززززز !

وفى منتصف الليل كان يعود للغرفة .. ينزع ثيابه وهو يلهث ثم أسمعه يفتح خزانة الثياب ويتناول زجاجة صغيرة يخفيها هناك. يجرع منها ثم يلهث ويندس فى الفراش .. إن الخمور ممنوعة فى سافارى لكن من حسن حظه أن رفيق غرفته ليس واشيًا .

ربما بعد ساعة يدوى رنين جهاز البيجر الذى يحمله فى حزامه. ينهض مسرعًا ويلبس المعطف ويهرع إلى قسم الطوارئ .. كنت أقول لنفسى إننى سعيد الحظ لأننى لا أعمل فى قسم ملتهب خطر مثل العظام وأمراض النساء والقلب ..

عندما يعود كان يتربع على الفراش ويمسك بالجيتار ويعزف عليه ألعالًا للبيتلز .. يجب أن أعترف أنه كان عازفًا بارعًا . لم أر عازفًا بارعًا بهذه العضلات من قبل لكنها الحقيقة ..

قلت له إنه جيد فعلًا ، فمط شفته السفلى بمعنى أن هذا المديح لا قيمة له .. هو يعرف قيمة عزفه جيدًا. من السخف أن تتملق هذا الرجل .

عامة كانت هذه أولى مشاكلي في الوحدة ، وهو شيء طبيعي لأنه ليس بوسعنا أن نصير محبوبين لدى الجميع .

المشكلة الثانية كانت مع علم الحميات المرهق ، خاصة أن عقلى غير ميبا لحفظ جرعات الأدوية ولا علامات الحميات . كان على أن أتلقى لدغة لا بأس بها في الأيام التالية .. أتحدث عن اللدغة بمعناها الحقيقي والمجازى ... سوف أحكى لك كل شيء بالتفصيل .

(برنادت) العريرة .

لبس هناك جديد مما يجب أن تعرفيه عن العمل هنا لكبي رأيت للمرة الأولى حالة من حمى الكونعو - القرم النرفية - تذكرت ما تعلمناه من أنها أكثر الحميات النزفية ترفّا في الصفيقة لم أر كل هذا القدر من النرف من الأنف والقم وتحت الجلد ، وأنا وأنت لم نر هذا المرس من قبل - توفى المريض للأسف لكن الخبرة ظلت في ذهني لفترة طويلة - تذكري أن الكونعو يتنافس مع القرم على شرف ادعاء هذه الحمى ، لذا يسمونها في روسيا حصى القرم والكونعو - الأمر الذي يذكرني بترتيب أسماء الممثلين في الأفلام ، المرض معروف منذ ١٩٤٠ كما تعرفين لكننا لم نره قط في الكاميرون على قدر على

هناك كذلك وفرة في مرض الحمي التمفراء تحن رأينا بعن المالات في المالات في المالات في المالات في المالات في المالات الم

أنت تعرفين أن الحمى الصفراء وباء كاسح ، بلتل تحو ٢٠ ألف منرى كل عام لكن من الممكن السيطرة عليه. وبما أللي قد تلقيت للاح ١٦٦ الإجاري فإلني محصن ضد هذا الوباء اللعين ...

موف أبعش داكرتك .. لابد ألك تسبت هذه الحمى المعيضة النادرة في الكامرون إنها تمثل ذكرى عزيرة لكل علماء الشروسات والأمراض المعدية المهار في التاريخ .

هناك أولًا عضة البعوضة الأنثى (إيدر إجبتى) ـ اسمها يوحى بأنها مصرير الني تلدغ الأصحاء .. يتسرب الفيروس إلى دمهم ، وهو من الفيروس الصفراء ، وفيروس سى الكبدى ينتمى لنفس الأسرة .. نفس الأمرة ننفس فيروس الضنك (حمى الدنج) ..

لكننا نعرف جيدًا أن الحمى الصفراء لم تدخل آسيا قط ، كما أن حمر الضنك النزفية لم تدخل أفريقيا قط . انتقل وباء الحمى الصفراء إلى أمريكا الجنوبية مع هجرات العبيد .

تبدأ القصة كمعظم الحميات النزفية بصداع وارتفاع في الحرارة وألم ظهر .. أعراض عامة جدًّا تشبه الأنفلونزا ، ولكن في اليوم الحامس ـ وكل الحميات النزفية تنزف في اليوم الخامس ـ تبدأ أعراض إصابة الفيروس للكبد حيث يحول خلايا الكبد إلى عجين بلا ملامح. إنه لون الصفراء الذي يغزو كل شيء ومه اشتق اسم الحمي ، ثم النزف من الأغشية المخاطية ومن فتحات الجسم تبدأ الهلاوس وعلى الأرجح يكون الموت هو النهاية ..

تشخيص المرض يقوم على تفرقة المرض من الحميات النزفية الأخرى، وبالطبع من الملاريا . الملاريا توجد في نفس الأماكن ولها تقريبًا ذات الأعراض .

تعرفين أنه لا يوجد علاج .. جربوا الإنترفيرون والريبافيرين في معظم هذه الفيروسات بلا جدوى . لا يمكن استئصال المرض لأن هناك دورة تتعلق

بالأدغال ، بتم فيها إضابة الرئيسيات . وهذه تعمل كمخزن للعدوى . أن أنه كلما قصبت على العدوى طهرت من جديد .

يمثل انتقال الفيروس لآسيا كابوسًا مقيمًا لأن البعوضة متوافرة هناك بعنى لو قرر الفيروس أن يتخلى عن تحفظه فلسوف يجتاح آسيا هناك استثناء حدث عام ٢٠١٦ هو ١١ حالة ظهرت في الصين . وهي حالات جاءت بالطائرة من قلب أفريقيا . ذات المنطق الذي أدى لانتشار الملاريا حول مطار هيثرو البريطاني .

نفس الفكرة تتعلق بمصر . لدينا حمى صفراء عند الحدود الجنوبية والبعوضة التى تنقل المرض موجودة فى كل مكان . لو تسريت حالة حمى صفراء لمصر لعم الوباء لكن هذا لم يحدث . ما السبب ؟ السبب هو الستر ورحمة الله ولا أجد تفسيرًا آخر .

الخطوة الأساسية في العلاج هي الوقاية . مقاومة البعوضة مهمة جدًا . . اللقاح بالغ الأهمية خاصة أنه لقاح فعال فعلًا . على العموم تنشابه طرق الوقاية مع طرق الوقاية ضد الملاريا . الثياب ذات الأكمام الطويلة والجوارب . . المبيدات الحشرية . .

ككل البعوض يهوى بعوض الحمى الصفراء أن يلدغ الناس ليلًا حتى الفجر ، لهذا نوصى الناس بأن يتواروا في بيوتهم ويلجئوا للناموسيات التي تم تشبعها باله (DDT) .

فى عنابر الحميات يمكنك أن تزورى عنابر الحمى الصفراء ، وفيها نحو أربع حالات يتم تمريضها جيدًا مع ناموسيات محكمة ، وأعتقد أنه من الصعب أن

تتسلل بعودمة لتلك العناير هذا بالطبع يطمئن المرء لأن المرض لا ينتل بطريقة أخرى سوى البعوض - ثبات التمريض والأطباء مشبعة بالبيرثريم الطارد للبعوض - يتم علاج المرض بشكل عرضى - لكنهم بتجنبون أدوي معينة مثل الأسيرين --

يقوم د. (فالدانو) بتجربة بعض أدوبة الفيروس سى على هذه العالات المنطق هو أن هذا الفيروس ينتمى لنفس الأسرة فمن الممكن أن بموت بنفس الطريقة ... لكن لم ينجح حتى الآن ...

قال د . (فالدانو) :

- « نتائج الريبافيرين ممتازة لدى الحيوانات المصابة بالحمى الصفراء لكه عديم النفع مع البشر . . »

قلت له مقترحًا:

- ا هناك مصل دم الذين تم شفاؤهم ا

- الا يجدى .. جربوه كثيرًا ،

فى أول حمى نزفية قابلتها فى حياتى ، وكان اسمها (العيون اللاتى تنزف دمًا) ـ كما نذكرين ـ استخدم أطباء سافارى مصلًا مأخوذًا من دمى وحقنوا به الحميع حتى (أبراهام ليفى) نفسه . لكن يبدو أن هذه التقنية غير صالحة هنا

في مكان ما في مختبر ما تكمن الحقيقة .. الحقيقة التي ستشفى ٢٠٠ ألف مريض وتنفذ حياة ٢٠ ألف شخص سنويًا . لكن العالم لم يصل لها بعد .. اما عن المرضى الشسوم فهم بندول افرت إلى المصابين بفضل ذلك من المحمد بنوف عامد السريد بناه المحمد الترف عامد السريد عمى الكونغو والقرم كما وصفت لك ..

المشكلة هي اللحظة التي نفر فيها احمده الحسم أن تجن يعشل الكبد ثم الكلية وينزف المربض بلا توقف ، ويدحل عيبويه مخية هذه هي اللحطة التي يفلت فيها المريض من أيدينا .. عندما يقف الموت عند رأس الفراش ولا يمكنك تدويره ...

بمناسة الحميات .. لا أريد أن أسبب لك قلقا لكن الشيء بالشيء يذكر عندما صحوت من النوم اليوم شعرت بصداع مروع ..

اصداع حلف محجر العين مؤلم فعلا ، وغالبًا ما ينبر علامات استفهام

كنت أشعر بغثيان ، لذا ابتلعت بعض الباراسيتامول مع قرص من الميتاكلوبراميد .. ثم بحثت حتى وجدت الترمومنر . كان (يوهان) نائمًا في عمق ، فأضأت نور الحمام في هدوء _ كانت الغرفة بعد مظلمة _ ودسست الترموتر في فمي ..

كانت درجة الحرارة ٣٨ درجة مئوية. تلك الحرارة اللعينة الخييئة التي يكرهها أطباء الحميات .. عندما تجدين أرقامًا مثل ٣٩ فالسبب يتعلق بالعدوى التنفسية أو الإنفلونزا أو أي سبب سهل .. الحرارة المنخفضة المصحوبة بأعراض تسمم .. هذه علامة كريهة فعلًا . أدعو الله أن أصاب بإسهال فأجد سبنًا . خُراج أميبي في الكبد ؟.. ليس بهذه السرعة ..

سرطان لمفاوى ؟ الحياة ليست بهذه القتامة ... أخذت حبة من الليفوفلوكساسين وقررت أن أنسى الأمر ..

عندما جاء المساء كنت قد تحسنت تمامًا ، لكنى قررت استكمال المضار العضاد العيوى . ، لا أريد أن أرتكب غلطة العامة . .

في الخطاب التالي أحكى لك عن الطبيبة الفرنسية (جولييت).



4 ـ يوم من العمل ..

(برنادت) العزيزة :

كنت أتناول طعام الإفطار في الكافتيريا .. الطعام هنا لا بأس به والقيدة جيدة .. كنت قد ملأت طبقى بالبطاطس المقلية مع الجين ورحت آكل في نهم . سمعت صوتًا رقيقًا يقول :

ـ 1 هل لي أن أجلس معك ؟ ٢

رفعت رأسى فوجدت د. (جولييت) الطبيبة الفرسية الرقيفة بالعة النحول. كانت تحمل صينية وكوب قهوة ونبحث عن مكان المجلوس أشرت لها أن تجلس فأنا لم أشتر المكان ..

كان شعرها القصير يذكرنى بالغلمان فعلا . وكانت معروقة الأطراف تشعر بأنها كتلة أعصاب مجدولة . نظارة رقيقة تتدلى على حافة الأنف وابتسامة دائمة .

راحت تصب الكاتشاب على الطعام ثم سألتني :

- ، كيف كان يومك ؟ ،

هكذا بدأت المحادثة .. يمكننى أن أخبرك بأشياء عديدة عنها: منها أليا طبيبة أمراض معدية عملت في معهد باستير بعض الوقت .. غير متزوجة .. تهوى الرسم والأدب وقراءة الشعر .. من (ناتت) في فرنسا _ بلد جول فيرل _ وقد كانت تعمل في وحدة سافاري كينيا .. واضح أنها جاءت بعدى لأني لم أرها هنالك .

دان سما حدیث عن نیروسی وعن کیتیا ، وقد اندهشت لأنس این بر نورکانا وجریت تسلق کلیمنجارو ،،

ـ ١ من الواضح أن لديك خيرات مذهلة ١

تكلمنا عنك وحكيت لها الكثير .. لن أطلعك عدا قلت . سر الكر لسب ما ما زلت أشعر بأنها نسخة أخرى بحبلة منك هي كذلك ظريفا حِدًا ، وقد كونت نظرية تقضى بأن الأشحاص الذبن بشبهون أشخاصًا آخريز بشعرون بالأشباء ذاتها التي يشعر بها من يشبهونهم ا. لست مجنونا أيحب ب ... إذا كان أ يشبه ج و ب تشبه د فعلى الأرجح سينجذب أ و ج الى د .. و د ستجد نفسها منجذبة إلى ج بلا تفسير .. بعبارة أخرى هناك اثنان بشبهاننا ومن الواضح أنهما يميلان لبعض ..

قالت لي :

- ، أنا سعيدة أنك حار الدماء صاحب الفعالات .. إن التعامل مع آخرين يشعرني بأنني في ثلاجة ،

فهمت على الفور ما تتكلم عنه .. تعنى البلجيكى السمج (برتران) ...
سعد المده كلما فكر في أن البشر لبسوا كلهم (برتران) ...
قلت لها صاحكًا

- الشرق أوسطيون أصحاب انفعالات . ربما أكثر من اللازم . . إن أعصابهم مناجعة الربما كان ما يحتاجون له بالضبط هو جرعة انفعال أقل ، النبي وهي تمنص الكولا بالشفاط من كوب ورقى كبير .

قلت في حرارة :

_ د الحميات ا . . . أفضل الموت لو لم أدرس الحميات أو يحيط بي المرضى المحمومون ! »

نظرت لى غير مصدقة فالتجرب صاحكًا:

ـ ، بالطبع وضعت حيث وضعوني . أنا لا أطبق الحميات ولا أطبق الطب الباطني أبدًا . أنا جراح أملك نفسية جراح ويدى جراح وحودى هذا رمز للشخص غير المناسب في المكان غير المناسب . ه

كلمتها عن روجتى الكندية الباسلة (أنت طبعًا!) . وعن اينتى التى أهيم بها حبًّا ..

جاء الطبيب الهندى (نظير)، وحبانا وهو يحمل صينية الطعام . اهتزت لحيته الكتة وهو يجلس . كان يتناول وجبة العداء معنا نم يتناول وجبة عناء دسمة مع أسرته ليلا...

قال لى وهو يقلب الطعام في طبقه:

- ا يبحثون عنك في قسم الحميات ،
- الم أعرف هذا .. لكن لو كانوا يتصورون أننى كائن أثيرى لا يأكل فهم مخطئون ،
- ا هناك بعض حالات سائل نخاع شوكى ، وهم يرغبون فى أن تسحب أنت العينات ،

كنت أمقت هذه المهمة المزعجة .. ما زلت لا أشعر براحة لعرس ابرة غليظة في سلسلة المريض الظهرية .. لقد أجريتها عشرات المرات وفي كل مرة أتوقع كارثة .. لكن هذه الأمور تكون عاجلة على كل حال ، لذا أنهيت طعامي وحيي صديقتي الفرنسية وصديقي الهندي ، ثم ركضت نحو قسم الحميات

قسم الحميات هنا أو المعزل يقع في الطرف الآخر من وحدة سافاري بالضبط عند تقاطع الضلعين لحرف لل .. بناية منعزلة تحيط بها الأسلال الشائكة ، وتوجد قيود عدة للتعامل معها ..

إجراءات مكافحة العدوى نشطة جدًّا في هذا الجزء ، وهناك ممرضة كونغولية مسنة اسمها (جومافي) تتابع بدقة وصرامة كل روتين المكافحة ، وقد أعطتها سنها مهابة بحيث يمكنها أن توجه اللوم لرئيس الوحدة نفسه .. وضعت القفازين ووضعت واقى الحذائين قبل أن أدخل ..

هناك في غرفة العمليات الصغرى كان المريض المسن يجلس في الفراش وقد أعدت لى الممرضة أدوات البذل ، مع المطهرات وأنبوبي اختبار .. وقد دهنت ظهر المريض باليود لتطهره .. أجريت عملية تعقيم سريعة ثم عدت له . وضعت القناع على وجهى ، ثم رحت أبحث بأناملي عن مكان دخول الإبرة .. هنا سمعت صوت أنين ..

رفعت رأسى فى عدم فهم . المريض مسن أما الأنين فهو أنين امرأة . . هنا وجدت رئيس التمريض (جومافى) تستند على حافة الفراش وتترنح . . ثم إنها سقطت على الأرض بلا مقدمات .

هناك أرقدناها في الفراش ، وقمت بقياس ضغط الدم والنبض ...

كانت تكرر بلا توقف :

_ ، أنا يضير . لم أثناول إفطارًا ،

لكن حرارتها كانت مرتفعة وقد أدركت من وجهها أنها مريضة جدًّا ... قمت باستدعاء د . (فالدانو) ، لأننى شعرت باحتياجي لخبراته حاء وتفحصها ثم هز رأسه وقال:

- ١ ما زالت في المرحلة التمهيدية للحمى . . مستحيل أن نعرف ما تشكو منه ، ولربما هو مجرد التهاب في الحلق أو إنفلونزا ،

ومرر يده على شعرها الأشيب المجعد فابتسمت ..

_ السفة للارتباك الذي تسببت فيه ١

وحاولت النهوض لكني أرغمتها في غيظ على الرقاد . ليس هذا أفضل وقت للاستشهاد ، ولسنا في أحد أفلام ماجدة القديمة ..

شعرتُ برغبة في القيء فجلبوا لها مبولة تفرغ بطنها فيها . . وبدا أنها أفضل حالًا . أوصى د . (فالدانو) بأن تُعطى بعض الباراسيتامول مع السوائل . . . يجب أن يكون مستوى السوائل في دمها معقولًا .

ساد الهدوء فعدت أواصل عملي . .

قمت ببذل السائل النخاعي الشوكي من ثلاثة مرضى ، وكتبت تقارير المختبر ...

عندما غادرت قسم الحميات أثار دهشتى حشد من الأشخاص يقفون خارج الوحدة .. اقتربت من الزحام الأفريقي لأفهم ما هنالك ، وسط حشد من اللغات عرفت من بينها السواحلية .. وسط الأشخاص وجدت شخصًا يرقد على

الأرض وهو يتحسس رأسه .. كان مريضًا فعلا.. دنوت منه وتحسست سير فوجدت أن ضربات القلب بطيئة جدًا . كان محمومًا وهذا واضح تمامًا

من الغريب أن تلقى حالتين من الإعياء خلال ساعة .. لكن هذا ما حدن وقد خطر لى أنه يوم من تلك الأيام .

على كل حال يصعب جدًّا أن تشخص سبب الحمى من دون تحليل بول وصورة دم كاملة وربما أشعة على الصدر . غالبًا تكتشف وجود التهاب في الحلق .. أو هي بدايات حمى تيفودية في بلد موبوء .

جاءت د. (جولييت) قادمة من بعيد وهى تلف المسماع حول عنقها قلت لها : إن الجميع مرضى هذا اليوم . .

لم أكن أعرف مدى دقة كلماتي، خلال يومين عرفت أن هناك حشدًا من المحمومة في وحدة سافاري ..

لا تنسى أننى عانيت حمى بسيطة أمس .. صحيح أنها زالت فورًا لكن ما سبب الحمى أصلًا ؟

هذه أمور تحتاج إلى إجابة ، ولا شك أن الأيام القادمة ستحمل ما هو أهم ..

ر برنادت) العريزة

خلال يومين بدأ الأمر يتخذ شكل ظاهرة مخيفة .. لقد سقط كثيرون في الوحدة أكثرهم من العاملين ، وقد قال أطباء المناطق الحارة إن هذه حمى لم تضع بعد .. ما زالت غامضة ..

اعتقد أن عنابر الحميات ضمت خمسة ممن سقطوا نتيجة الداء .

على أننى كنت أجول فى العنابر حينما لاحظت رئيسة التمريض المريضة (جومافى)، وكانت راقدة فى الفراش تحاول قراءة صحيفة بالفرنسية . رأيتها تميل برأسها فجأة على جانب الفراش، ثم سال خيط من الدم من ألفها ... دنوت منها مسرعًا وتفحصت ساعديها فوجدت الكثير من الكدمات والنزف نحت الجلد. إن لديها استعدادًا نزفيًا مهولًا .

هناك قائمة كاملة بالأمراض التي تحدث هذا المظهر .. أولها فشل الكبد وآخرها التيفوس ..

ناديت (فالدانو) ليرى هذه المصيبة ، فأثارت هلعه . . طلب قائمة كاملة من أبحاث التجلط والنزف وعد الصفائح الدموية . .

كان يردد الكلمة المفزعة:

DIC 1-

انتحبت به جانبًا في العنبر وتأكدت أن أحدًا لا يسمع ما نقول ، ثم قلت

_ ا هذه حس نزفية بلا شك . برف اليوم الرابع مع العمورة السراري هل تعنقد أنها الحس الصفراء ؟ ؟ قال وهو يجفف عرقه

ـ ، لقد أخذتُ اللقاح . . كلنا أخذنا اللقاح يوم دخلنا سافارى . والله الله أخذتُ اللقاح من الكونغو والقرم الا يفشل. ما أفكر فيه هو حمى الكونغو والقرم الكان الاحتمال مرعبًا . . فهي حمى وبائية خطيرة

أمر بأن تعطى المرأة البلازما كان القرار خطرا بصدد تقل صفائح أم عدر نقلها .. هل يعطى الهيبارين أم لا يُعطى . لو كان العجوز رفعت إسماعيل مد نقلها .. هل يعطى الهيبارين أم لا يُعطى . لو كان العجوز رفعت إسماعيل مد لوجد حلًا . إن خبراته في أمراض الدم لا بأس بها .. احتجنا إلى خبير أمراه دم إسكندنافي يعمل بالوحدة .

هكذا أخذنا عينات من دم الممرضة ، وتم إرسالها لمختبر الفيروسات الصغير الموجود في بدروم الوحدة .

على أنه قبل أن ينتصف اليوم كان هناك عامل آخر ينزف من قبا بلا توقف ... وقد بدأ إعطاؤه البلازما ، بينما رأى (فالدانو) أنه يجب أن بلغ وزارة الصحة ومنظمة الصحة العالمية .. الأمر يتجاوز قدراته .. لا بد من معرف اسم هذا الوباء ..

- اليس (السا) ولا (إيبولا) .. فهو بطى، والمرضى بحالة لا بأس بها الله ولا يوجد قراض ولا توجد حيوانات تنقل حمى الكونغو والقرم الكنت قد أنهيت عملى ظهرًا ، فقررت أن أنزل إلى الطابق الأسفل حيث مختبر الفيروسات ..

مشبت في ممر طويل حتى بلغت بابًا زجاجيًا كتب عليه (وحدة الفيروسات) عليدنه . هو من الأبواب ذات الياى القوى التي تحطم الكتف إياها ، وهناك كانت ممرضة كونغولية جالسة إلى الكاونتر . كيف تبدأ الكلام مع هذه ؟ قلت لها إننى طبيب مصرى وإننى أعمل في الحميات وأرغب في معرفة الوحدة ..

قالت لى بفرنسية سمجة:

_، للأسف لا نسمح إلا بأشخاص مؤهلين أو عاملين هنا ،

لم يكن الموقف مناسبًا للشجار أو الإصرار . . من التهذيب أن أنصرف خائبًا ، لكنى سمعت صوتًا رفيعًا يقول لى :

۱ انتظر یا دکتور ۱۰۰۰

نظرت للخلف فوجدت رجلًا آسيويًا قصير القامة ، أصفر اللون جدًا ، وله شعر ناعم ينحدر على كتفيه وعوينات رقيقة .. كان يمد يده لى ويضحك تلك الضحكة الآسيوية المتملقة التى تظهر الأسنان ..

- انابروفسور (ناجویاما) .. رئیس هذه الوحدة .. یسرنی أن تکون ضیفی الفرت للممرضة المناکفة بکراهیة فنظرت لی باحتقار ، فنظرت لها فی الشمئزاز فصنعت بالونا من اللادن الذی تمضغه وفجرته فی وجهی ... وسرعان ما وجدت نفسی أمشی مع (ناجویاما) ..

قال لى فى مرح:

- المعتك تقول مصر . . مصر بلد جميل مشمس . . الأهرام . . كل شيء الع ،

سألته متى زار مصر فقال :

_ ، لم أزرها ! . بلد رائع الجمال ! . ،

كتمت غيظى .. أكره من يتحمسون لشيء لم يروه .. على أنه رام يعر ي بفرنسيته اليابانية قصة طويلة مملة لم أفهم منها حرفًا عن الظروق التي علته يعمل هنا .. ألعن نطق للفرنسية هو عندما ينطقها اليابانيون .

قال لى كما فهمت :

_ ، في طوكيو عملت في مجال الفيروسات لفترة طويلة ، ثم قررت أن أنجه لي طوكيو عملت في مجال الفيروسات طازجة . وقد كونت فريقًا للفيروسات طازجة . وقد كونت فريقًا للفيروسات

منا ۴

كنت أمشى معه وهو يرينى نحو ستة من العاملين بعضهم خلف المجهر الإلكترونى ، وبعضهم أمام شاشات الكمبيوتر ...كانوا مشغولين جدًّا فأعتقد أنهم لم يرونى أصلا ، فقط دفنوا وجوههم فى أكواب القهوة. أرانى ثلاجات كبيرة وحضانات يبدو أنهم يزرعون فيها الفيروسات ... وكان هناك أكثر من جهاز ELISA .. الخلاصة أن المكان بدا أقرب إلى مختبر تحاليل واسع متكامل

انجه إلى حضانة فتحها فتصاعد دخان النتروجين .. استطعت أن أرى أنبوباً معدننًا محفوظًا وسط طبقة من (الفوم) .. قال لى البروفسور :

- اهذه عينة من دم مريض بالحمى التي تجتاح الوحدة حاليًا .. نبحث عن الأحسام المناعبة المعروفة ثم نستخدم سلسلة البوليمريز للتعرف على الحمض البووي للفيروس ،

قلت له في حذر :

_ ، وماذا لو كان فيروسًا جديدًا ؟ ،

ابتسم وقال:

ـ ، عزيزى .. لا توجد فيروسات جديدة . هناك فيروسات لم نكن نعرفها ثم عرفنا كيف نبحث عنها . حتى الإيدر كان موجودًا في الدعل منذ ثلاثينيات القرن العشرين .. ه

_ ۱ ولو فشلتم ؟ ۱

- و عندها هناك منظمة الصحة العالمية أو CDC . هما قادرتان على العثور على الفيروس فورًا ، لكن لا أحسبنا سنبلغ هذه المرحلة ،

كنا قد أنهينا دورة كاملة في أرجاء المختبر .. وعدت أرى نفس الأشياء التي رأيتها في البداية ، فصافحته شاكرًا :

- ا أشكرك على الوقت الذي منحتنيه يا بروفسور . . فقط أرجو أن تسمح لى بالمرور من وقت لآخر ،

انحنى في إجلال كأنني أتعطف عليهم بالزيارة وقال:

- ا هذا شرف عظيم لنا ... أنا أحب ليبيا .. بلد جميل ،

- ١ أ ٠٠ أنا من مصر ١ ٥

- ا بلد جميل جميل .. سايو نارا .. ،

رجل ظريف .. قلتها لنفسى وأنا أمشى في الممر مبتعدًا

(برنادت) العزيزة :

كيف حالك وكيف حال سارة ؟ الواقع أننى بدأت أعشق إرسال العطابان, وقد كان يمنعنى عن هذا الكسل .. ثم إن تبادل المراسلات بريديًا كان يعبض لأله لم يصل أى خطاب كتبته لأى عنوان في حياتي.. هناك نوعان من البنر الذين تصل خطاباتهم والذين لا تصل ! .. لكني لا أنكر أن البريد الإلكتروني في على هذه اللعنة ، وخاصة أنك من الذين تصلهم الخطابات الإلكترونية .. هناك ضرب من الناس لا تصلهم الخطابات الإلكترونية أيدًا ويقسمون على ذلك هنا في الكوتغو .. قلب أفريقيا السوداء ... البلد الذي نعنيه عندما شكام عن أفريقيا ، بينما أنت هناك على الساحل الغربي للقارة .. ترى ماذا تعمليا

هل (بارتلبیه) سلیم برغم فلیه المتهالك ؟ هل ما زال (آرثر شیلیی) منبخراً كما هو ؟ هل ما زال (لیمی) وغذا ؟ أرجو ألا یكون قد تحرش بك .. هل ما زال (سیالاتزانی) صاحب الصوت ؟ .. هل ما زال (باركر) شبها بغراب البین أفتقد هذا كله ، وإن كنت علی بقین أننی مع الوقت سوف أحب الحیاه هنا ، وأناثر جدًا مع اقتراب لحظة الفراق . فقط هی ما زالت لحظة بعیدة حدًا للأسف ..

لحسن الحظ أننى لم أقم بأى مهام صدائة ما زلت أعمل في الوصدة

اعتقد أن ترك الوحدة ودخول الدعل والشائل أشياد الفي رود، المعالة ممتعة بقدر أنها خطرة ..

مثلًا لا يمكن أن أن تنتيني إقامتي هنا من دون روية الأطرام المسهورين

عم كنا نتكلم ؟

آه .. كنا نتكم عن حالات الحمى البرقية العامضة في وعده سافاري

قلت إن البروفسور الياباني (ناجوياما) صار صديقي هو سديق كل الناس على ما أعتقد ، وقد قررت أن أزوره مرة أخرى في محرابه العلمي يعد ما سقط مريضان من الوحدة بنفس الحمى .. نعم كانا مريضين .. أحدهما بالتهاب رثوى والآخر بداء البروسللا المتقدمة ..

لا أعتقد أن للنزف دورًا فيما أصاب المريضين .. لقد أصيبا بالعدوى ..

كانت تعليمات مكافحة العدوى صارمة ، وصارت الكمامات في كل مكان كان الكل يلبس أكثر من قفاز ، وجرى رش العنابر كلها بمبيدات الحشرات والمطهرات

ساد جو عام من التوتر ...

ثم جاءت اللحظة السوداء عندما استدعونى لمكتب المدير صباحًا ... سوف أتلقى عقابى .. هذا جزائى العادل إذن. لا أعرف عن أى شىء لكنى أرتجف رعبًا كلما استدعانى المدير ، وأوشك على الصراخ : « كيف عرف ؟ » إن العالم ملىء بالوشاة ... يشون بأى شىء ؟ لا أعرف بالضبط ...

هماك احترب مكتب السكرتارية حيث كانت ثلاث فتيال تديير منهمكات في كتابه رسائل على أجهرة الكمبيوتر وعلدما دحلت عرفيون اجتماعًا صعيرًا ١٠ د أرثر برسين يجلس بقميص وربطة عنق إلى سنساء، غرق في العرق ، أما المديرة (آن ليراي) فتجلس وأمامها مطنأة سنة الـم. وكوب قهوة .. لا أحد يجرؤ على منعها من التدخين طبعًا ..

هناك د. (ناجوياما) .. وعرفت وجود بعض أطياء الحميات: وسهر (نظیر) و (فالدانو) و (برتران) و (جولیت) ..

الوجود ممتقعة والجو العام يجعل أحشاءك تتقلص منتظرة مصببة أحب صوت (آرثر بيرسين) عندما يتكلم .. هذا الصوت العميق الراد الذي يذكرك بصوت (دارث فيدر) في سلسلة حرب الكواكب ، فلا عد ان صوت (فیدر) کان لممثل أمریکی أسود .. هناك شیء فی صوته بعد المقاعد تترجرج كأنه تأثير الدولبي ..

قال (بيرسين) :

- ا هذا اجتماع خارق للعادة ، لأن الأمور بدأت تفلت من أيدينا والم بحاجة إلى أدمغة ، لكنى أعتقد أنه لابد من أن تتولى منظمة الصحة العاليا المستولية من هنا ،

قالت (آن لیرای) :

- ا بروفسور (ناجویاما) قد تمکن من تعدید الفبروس الذی أصاب عدا من أقراد الوحدة . كل شيء يقول إنه فيروس الحمي الصفراء .. وقد وجه حسيم (تور) في كل الخلايا لدى من ماتوا اليوم ،

هنا تساءل (نظير) في دهشة

_ د هل مات أحد اليوم ؟ ،

قالت بلهجة خطرة :

_ ، مشرفة التمريض (جومافي) توفيت مند ساعة ،

شهق البعض .. وارتجفت . حاولت تذكر وجهها رسعرها الأشيب المجعد يا لها من بداية لليوم ..

قال المدير:

ـ « هناك وقت للحزن والحداد فيما بعد . . لكننا اليوم نتكلم عن وباء حمى صفراء ظهر في الوحدة »

قال د . (فالدانو) الكونغولى :

- القد ناظرنا كل الحالات .. كلها تلقت لقاح D17 وهذا اللقاح لا يفشل أبدًا .. لا يمكن أن يصابوا بالحمى الصفراء. كلهم يحمل المناعة .. ،

قالت (آن لیرای) وهی تشعل لفافة تبغ أخری :

ـ د كل شيء يقول إنها الحمى الصفراء والبروفسور (ناجوياما) وفريقه لا يخطئون »

ساد الصمت ورحنا نتأمل بعضنا .. وباء حمى صفراء يصيب من تم تطعيمهم ضد الحمى الصفراء.. أى كابوس !.. هذا يتركنا في العراء تمامًا لأن المرض قاتل وبلا علاج ..

قال المدير:

- القد فعلنا ما يمكن لمكافحة البعوض في الوحدة .. لا توجد بعوضة واحدة حبة ...

- قال (نظیر) وعیناه نتقدان :
- مناك بركتا مجار في الساحة الخلفية مياه اسلة كثيرة سود ور فرصة لمئات البرقات »
- ـ و قمنا بردمهما فعلا. وللمشكلة شطران مكافحة البعوس وأمال والمال والمال الموضى وأمال والمال والمال والمال والمرضى بحيث لا يمتص البعوض دمهم و سوف شعم و قطع الدائرة و

قال د . (فالدانو) :

مناك دورات حياة يديلة تمر بالحيوانات الأمر ليس بهذه البساطة .. هناك دورات حياة يديلة تمر بالحيوانات الموضوع معقد جدًا ويتجاوز فدرائنا ،

للمرة الأولى تكلم (برتران) السمح ، فعقد ساعديه على صدره وقال ـ . و لا يد من إبلاغ منظمة الصحة العالمية ،

كان هذا سينًا كلما وجدت وحدة سافارى أنها مرغمة على الاستعابة بمنظمة الصحة العالمية ، برهنت على أنها غير قديرة أو أنها غير مذلات كوحدة علاجية لكن للضرورة أحكامًا الولد الصعير الذي يتلقى علفة فيستعين بأخيه الكبير الضخم

قال (برتران) :

- د هل نجرب الريبافيرين مع المصابين ؟ ،
 طقطق د . (فالدانو) بلسانه :
- ـ د لم تنجح أى محاولة لاستعمال الريبافيرين أو الإنترفيرون مع الصمو الصفراء .. لكن لا أرى ما يمنع من المحاولة فلن نخسر شبئا ،

كان التصويت واضحًا .. لا بد من تدخل المنظمة العالمية . . .

الكونغو موطن قديم للحمى الصفراء ، لكن ليس للحمى الصفراء التى تقاوم اللقاح .. هذا يعقد الأمور جدًّا ..

* * * * *

للقاح الحمى الصفراء قصة طويلة ـ يبدأ العمل بعد عشرة أيام من استعماله وهو يُعطى للمقيمين في الدول الموبوءة في الشهر التاسع من العمر ، كما يتم مع لقاح الحصبة عندنا . واللقاح خطر . قد يقتل في حالات نادرة جدًا . .

تم تصنيع اللقاح عام ١٩٣٠ على يد العالم (ماكس تيير) من مؤسسة روكفلر في نيويورك . ليس لأغراض إنسانية بالضبط بل لتلبية حاجة الجيش الأمريكي أثناء الحرب العالمية . وقد نال العالم جائزة نوبل مكافأة له . هناك لقاح فرنسي آخر تم وقف استخدامه لأنه يسبب حمى مخية . إن لقاح D17 يعمل بكفاءة منذ اختراعه ولا يبدو أن العلم سيستغنى عنه . وقد أوشك المرض على الاختفاء من أمريكا الجنوبية . . أوشك ال لأن برامج مقاومة البعوض قد تعثرت هناك .

لقد تلقى اللقاح في عام واحد أكثر من منة مليون ، لكن لا يمكن استنصال الفيروس نهائيًا لأن البعوض في كل مكان كما قلنا ، ولأن هناك مخزونًا في

الحيوانات البرية .. هذا يميز الدورة الأفريفية .

لا يجب أن ننسى أن بعوضة الحمى الصفراء موجودة في أماكن عديدة مصر على سبيل المثال ، لكن عدم وجود حالات يبقى الحمى بعيدة علا و وخلت مصر لكانت كارثة لأن البعوضة منتشرة حدًّا ، أي يقعة ماء أسنة على الأرض في الحمام يمكن أن تجد البعوض يحوم حولها .

البعوضة التى تنقل الحمى الصفراء تنفل كذلك فيروس زبكا وفيروس الدنج (الضنك). لا يعرف أحد لماذا لا تنقل التهاب الكبد سى برغم أنه يشبه هك الفيروسات جدًا . لهذا صارت مكافحة البعوضة جوهرية لا توحد ساسة وقائية صحيحة إلا بالخلاص من هذه اللعنة .

يعرف كل مختص بالطب الوقائى قائمة من الإجراءات عن ظهر قلب مكافحة اليرقات .. تربية السمك الذي يأكل اليرقات .. مبيدات اليرقات الناموسيات مهمة جدًا ، وكذلك الثياب السميكة التي لا تخترقها لدعة البعوضة ..

على العموم يملك معظم السكان المحليين مناعة ضد الحمى الصفراء لهذا فإن الأوبئة تجتاح الغرباء أولًا .. وهي ظاهرة معروفة في كل الأوبئة المحلية . أنت تعرفين كيف يصاب الغربيون بألعن حالات الملاريا ، بينما يعيش الوطنيون حياة عادية . في مصر كانت البلهارسيا تفتك بالبريطانيين الذين يتعرضون للماء الملوث ، بينما الفلاح المصرى يعيش حياة عادية تمامًا . لو لم نتلق لقاح الحمى الصفراء لفتكت بنا جميعًا في بلد كهذا

7_ الملعونة ..

إبرلادت العزيرة :

هكذا دارت عجلة الحياة في سافاري ، وكما ترين هي لا تحتلف كثيرًا عن العظ المعناد حيث وحدث أنا تظهر المؤلمرات والدسالس والأوللة والقراطة المعناد ...

بدأ عزل الحالات يشكل شه تام ، كما بدأ إعظاء عقار ريافيرين المضاد تليروسات .. إنه مجد مع الفيروس سى لذا من الوارد حدًّا أن يجدى هنا ، ظهرت حالتان جديدتان .. ولوفيت حالتان

وظهر عدد من أفراد منظمة الصحة العالمية خبراء الأوبئة ، وجوههم منجهمة دائمًا ويجلسون بالساعات على أجهزة الكمبيوتر يصمعون خرائط اوبائبات .. كما أنهم عزلوا قسم الحميات وصار دخوله يحتاج لإجراءات تشبه دخول قاعدة عسكرية ..

لكنى ظللت أمارس عملى كما هو . حيالي لم تختلف كثيرًا . صحيح أننا كنا نرمق بعضنا ونتساءل عن أينا سيمرض أولًا . لكن عليك أن تؤدى عملك في النهاية . لن يصينا إلا ما كتب الله لنا . غير ألك تملكين حيالًا حصا وبمكك تغيل الهستريا التي صونا نتعامل بها مع أي بعوضة

يمكن أن تصرخ ممرضة في هستيريا ثم بنضح أنها وحدت بعوضة على ماعدها.

عت واقط آمام باب وحدة العسات أنشاس مع حارب أمن توبعول لو الله المعالى القسمت التي طبيب هنا لن مر المن توبعول لو الله المعالى الا أدخل فهو لا بعرفني أقسمت التي طبيب هنا لن مر المعالى المعالى على منور المعالى على عنور المعالى المعالى عنور المعالى المعالى المعالى عنور المعالى المعال

قررت بن النهاية التن سأمود للمسكن ولو بعثوا على الملت إلى معرب عن الوصول المتر عملي بسبب حارس أحمق فقل جاء المسبب المنت المنت المنت المنت المثير المحمد وربت على كتلي ثم دفعتي الادخل فلم بتكم التور لولا على البان صفقر المفير الممبر حدًا بعمامته ولعبته وضحامته ، فلم مراه فلن بساله أحد ..

دخلنا إلى فسم الحميات حيث الله عليد أن تبدل الحملاء ولدع قالما عد ارتداء قفارين فوق بعضهما ،

للدحار المراملين بأقدم ارولته المحسمة

هنان ثابت عناير تحمى المشراء المد كتلبيت معرى رهبا كاب هنا الغرف نحوى أمراضًا مسائمة لتقلقة مثل البينود والبروسية وعمارت لعوا الموت ويمكنك أن لشم راتحته

كن رحال المحة العالمية مستشريق .. بمكسى أن امرف رحل المحا العالمية من بين ألف ..

التحريل (بطير) جانباً ثم قدادي من ساعدي إلى عرفه إدارية و رعه لا يوجد فيها سوى قراش كشف ومكتب صغير وسنائر منعد أمام المكتب وطلب منى أن أجنس ____

شعرت بقلق على سخبرنى بأخبار العبدة حاجت من الوطن ا ربعا من الكاميرون ؟ دائمًا يتم الأمر هكذا ولسوف بطالتي بالتقلل لأثنى ناضح بدا يكتى كنت معتقع الوجه ألهث

لكنه قال لي نصوت طبيعي :

ے دلاید من تفسیر لهذا الذی بحدث ه

واطلته على القور ... وتأهمت لسماع باقى الكلام

قال وهو يزيح الكمامة التي لضايقه

_ ، هناك أسطورة بتناولها العاملون هنا الله التاس هنا كالوليكون عن كما تعرف ، لكن تيانات السحر الوثنية ما زالت مسيقرة الهم يتكلمون عن (المونيتاوا) .. المرأة الوناه .. ه

نظرت له في غير فهم فقال :

د الغة الكيتوبا هي اللغة الأكثر شيومًا .. تنبها لغة اللينمالا . في لغة اللينمالا (موبيتاوا) تعنى المرأة الوباء .. وما يقوله العاملون هذا أن لعنة قد حلت بالوحدة .. هناك امرأة قد جاءت وهي تنشر الوباء حيث ذهبت ، بالضط كما تقضى أساطيرهم .. طبقا هم لا يؤمنون بالعدوى بل يتكلمون عن أرواح شريرة ه

قلت له في ضيق :

- د الداوا ... كل مكان في أفريقيا يتكنم عن الداوا ... أي طبيب في سافاري بعرف هذا »

تصلبت لحية الطير) وقال:

- ـ و لكنهم وجهوا إصبع الاتهام فعلا . يتكلمون عن د. احوليت المهم وجهوا إصبع الاتهام فعلا . يتكلمون عن د. احوليت المهم وجهوا إصبع بعده . نحيلة جدًا كما في أساطيرهم الاتسان لأي قبيلة . . ه
 - ١ من قال هذا الكلام الفارغ ؟ ١
 - (كلهم ! ،
 - ثم ضاقت عيناه وهو يقول:
- _ ، أنا أعرف لغة الكيتوبا وقد تفاهمت مع بعض العاملين هنا . بشكور فيها جدًا ، وقد حكى لى أحدهم سلسلة لا بأس بها من مرات ظهور العس كلما تواجدت د . (جولييت) في مكان ما حتى أوشك أن يقنعني شخصاً ،
 - حككت شعرى وقلت:
- ـ سيكون هذا أظرف شيء أحكيه لزوجتي _ سيكون هذا أظرف شيء أحكيه لزوجتي _ دريما .. لكن تذكر أن ريد اكتشف فيروس الحمي الصفراء لسبب واحد لقد استمع لأقوال الأهالي .. ليس الأهالي حمقي دائمًا
 - • وليست هناك امرأة وباء ..
 - حك لحيته ونظر للساعة:
- ـ تذكر (مارى) التيفودية في الولايات المتحدة .. كانت مربية ، وكانت تحمل عدوى التيفود .. لذا كلما عملت في بيت كانت الحمى تظهر ليس الموضوع هراء محضًا كما ترى ،
 - اسالته :
 - د حتى لو افترضنا أن هناك أسطورة بهذا الشكل ، فهل ترى عمل شيء ؟...
 هل نقتل د . (جولييت) ونذيب بقاياها في الحمض أو نحرقها ؟ »

غطك وأعاد القناع لأنفه:

ر ليس بالضبط . . فقط أردت أن نعرف ما يقال __ من المقيد أن تعرف ما يفكر فيه عاملو الوحدة .. ،

بالفعل هذا مفيد . . المعلومات مفيدة دائمًا ، لكن أفصل المعلومات التي ندفعك لفعل ما . بالنسبة لهذا الموقف لا يوحد رد فعل موى السمرية توادر نشبه ما يتم تداوله على المقاهي

على كل حال نسيت الموضوع ...

نسيته إلى أن جاء الليل وكنت عائدًا إلى غرفتي عبر الممر الدي بحوي غرف الأطباء ، وكنت مرهقًا مشتاقًا إلى النوم لا توجد وسائل تسلبة مهمة في كينشاسا وهذا يدفعك إلى تضييع وقت الفراغ في سافاري مناك عنابر وعيادات من المستحيل أن أزورها إلا للملل .. من المجنون الذي يهتم بعيادة الأمراض الروماتزمية أو عيادة أمراض العيون ؟ أنا طبعًا ...

عندما مررت أمام غرفة د . (جولييت) التي تقع في نهاية الردهة ، لاحظت شيئًا غريبًا . . كان هناك رمز غريب ذو طابع بدائي مرسومًا على الناب شيء أفرب إلى وجه طوطم بشيء من الخيال

وقفت أنظر لهذا النقش الغريب في غير فهم--

سمعت صوت خطوات فنظرت للخلف ...

كانت د . (جولييت) عائدة لغرفتها وقد خلعت معطفها أثناء المشي كأنها تتعجل الفراش .. فلما رأتني أشرق وجهها ودنت لتحادثني ثم تصلبت وأت الرسم على الباب

كانت لدى فكرة تقريبية عن كنه هذا الرسم لكن أردت أن أناد ودير التقطت للباب صورة بالهاتف المحسول ، ودعدتها بأن أفهم من الكولفولين معنى هذا الشكل .. فقط عليها أن نيام ونسيريح ونشت ميونرد ، فشحت بان الغرفة وألقيت نظرة بالداخل ... غرفة عطرة امتلأت حدرالها باللوحات النير رسمتها (جولييت) وموكيت أزرق حميل وفراش مريح لا يوجد محسلون

أغلقت الباب عليها ثم هرعت إلى قسم الحميات كلت أعرف أن د. (فالدانو) ما زال هناك ساهرًا . لقد تركته منذ عشر دفائق كان م الأسود الوحيد الذي يمكن أن أثق به ، بعد ما مات (أنانول) العزيز

كان هناك في المكتب الذي كنت أجلس فيه أنا و(نظير) طهرًا وكال يراجع أحد المراجع المهمة .

قلت له وأنا أعبث في الهاتف الجوال:

- « هل لهذا الرسم معنى عندك يا دكتور ؟ ١

وعرضت عليه الصورة ... نظرة اهتمام لا شك فيها .

نعم .. كما توقعت .. علامة اللعنة .. ابتعدوا أيها الحمقى .. لا تتعاملوا معها بأى ثمن .. لا تدنوا من هنا فالشيطان ينتظر في حماسة .. قال لى في قلق :

- ـ متى وجدت هذه العلامة ؟ إنها علامة التحريم لدى الوثنيين هنا » قت له وأنا أغلق الهاتف :
 - ١ هذه علامة وجدتاها على باب طبيب في سافاري ،

ر الله هو مكرود حدًا .. مكرود للدرجية أنه في خطر .. قل له أن ياحد

يد. المحدد على العلام العلوم العلام العلام

ينفرت للأرض لأرى الدخان يحيط بقدمي ، ، من أين هو قادم ٢ دقيقة ثم إنت أجهزة إنذار الحريق تعوى ___

الطلقت أحرى وقد خمنت مصدر الحريق ، والدفع معى عدى رحال وشد دعال وحال العربيق ، والدفع معى عدى رحال وشد دعال لا المكان لا المكان لا المكان لا المواليات الإطلاء على المكان المحال المكان المكان

موت سعال بالذاخل ___

حريق بالناخل _ لا يجب أن تكون عيفريًّا لتدرك ذلك _ وعندما نظرت الأرض ثحت فتحة الباب كان سائل يسيل بغزارة

تفعت الباب بكتفى .. لم يستجب .. هشم كتفى فلدة هذه الأمور للو سهلة في السيندا . وجهت ركلة للباب فهشمت قدمى .. ثم طير رحل أمن ضعم الجثة حاملًا فأشا من مكان ما وانهال على خشب الباب شم واصل الهشيم بأسطوانة الإطفاء

عندما الفنح الباب كانت العرفة الهادلة الرفيقة كما وليها منذ عنو دالله فلا تحولت لحصيم دانتي . لو وأتنى خالتي لقالت الني حددت الهرفة المناف الفقاء القلاحه الحسد العرفة تشتعل في زمن أقل من ساعة ...

هناك عند النافذة المفتوحة كانت د (جولييت) تستند بطهرها ونعري . . واضح أننا لو تأخرنا لوثبت من النافذة . كانت تلس ثيانًا خفيفة شفافة مي يدل على أنها كانت موشكة على النوم ...

أدركنا على الفور أن مصدر النيران هو ذلك السائل على الأرض ..

غرقت الغرفة فى سحابة كثيفة من الرغاوى ، بينما وثبت أنا برشاقة لأحدر الطبيبة . كانت تزن خمسة كيلوجرامات فحملتها بين ذراعى مثل كبنج كوب وأسرعت إلى الباب ، بينما كان الحريق قد انتهى تقريبًا . احترق الموكبث وملاءة الفراش . لكن هذه أفضل نتيجة ممكنة.

كانت تبكى وترتجف . . قالت إنها دخلت الفراش وكانت تتصفح (التابلت الخاص بها عندما شعرت بالحريق .

قال رجل الأمن ضخم الجنة :

هناك من سكب البنزين تحت فتحة الباب ثم دس عودًا من الثقاب
 لقد زحف اللهب إلى الداخل ،

هده تشبه الطريقة المصرية عندما تسكب الكيروسين تحت الباب ثم تلقي بعود ثقاب مشتعل من شراعة الباب .. أسلوب بلطجية معروف ..

لقد كان الانتقام سريعًا من (الموبيتاوا) .. وضعوا العلامة وخلال ساعة بدأت محاولات إحراقها ..

من مكان ما ظهرت نائبة المدير (آن)، وقد انتقلت لها الأخبار حول الحريق الذي كاد يلتهم الطبيبة .. راحت تبعد الواقفين في عصبية ، ثم دنت من (جوليت) :

ر مل تدخنين في الغرفة ؟ ، قالت (جولبيت) بصوت ممزوج بالسعال :

(.. 5)_

قلت لها وأنا أجفف عرقى:

ـ ١ هناك من حاول حرقها وهي نائمة ١

ماحت في هستيريا ملوحة بيديها:

_ ، يا للسماء ! . . من فعل هذا ؟ ،

بالطبع هناك ألف احتمال . أى وثنى من العاملين فى الوحدة يعتقد أنها (الموبيتاوا) وأراد أن يقتلها لينهى الوباء .. بصراحة لو كنت أؤمن بشىء كهذا لقتلتها أنا نفسى ..

قال رجل الأمن:

- الرجو أن يعود الجميع لعملهم .. إن الشرطة قادمة حالًا ، وتفرق الجمع ..

فقط لم يتلاش الدخان الذي حرق رئاتنا جميعًا ... لم يتلاش التوتر والهلع .. لم يتلاش التوتر والهلع .. لم يتلاش الوباء المحدق بالوحدة ...

الجزء التالي ليس من خطابات علاء ل (برنادت) :

هناك أشياء عدة لا يخبر المرء زوجته بها . مثلًا هو لا يخبرها أنه سرن لا يخبرها أنه يحبرها بإصابته بالعمر المراقة أخرى . والأهم أنه لا يخبرها بإصابته بالعمر الصفراء . نصيحتى لك لو أصبت بالحمى الصفراء أن تتكتم الأمر ، فمعرف لن تفيد أحدًا .

لقد شعرت فى البداية بأعراض قصيرة مبهمة مما يطلقون عليه (فيروس ٢٤ ساعة) وتعاطيت الليفوفلوكساسين فتحسنت . كان الموضوع يتعلق بارثفاع فى درجة الحرارة وصداع . . لا يوجد شىء مهم . .

على أنني عدت لغرفتي بعد حادث الحريق ..

جلست أطالع بعض المجلات المصورة ، وهى طريقة ممتازة لنظفر سوء هادئ . بعض التفاهة لن تضر أحدًا . ثم أغلقت النور ..

كان نومًا مرهقًا غارقًا في العرق والكوابيس .. وكانت هناك نقطة معبنة في الحلم (مثل رجل له أنف من نحاس) أتمسك بها ويبدأ الحلم ، ثم أكتشف أنني نسيت البداية .. لم يعد هناك رجل له أنف من نحاس . هناك فتاة شعرها أزرق .. ثم أتذكر الرجل من نحاس فأعود له .. عندها أتذكر أنني نسيت الفتاة .. بم كانت تمتاز ؟

كنت أموت من العرق والحر ...

جهاز التكييف يعمل بصورة جيدة لكن الحرارة قادمة من داخلي ..

بهت إلى الحمام فأفرغت معدتي .. وخطر لي وأنا أعود للفراش أن هالني لبست طبيعية . قدماي لينتان والأرض عالية توشك على لمس ذقني . . .

plan,

وبعد ربع ساعة نهضت لنزع منامتي وأنام عاري الصدر .. عطش ٠٠٠٠

الصناع يوشك على تفجير رأسي . . صداع مروع . خطر لي إنني على وشك الإصابة بنزف مخى .. لا بد من قياس ضغط الدم ...

سمعت حركة وأضاء أحدهم النور الكهربي ...

كان هذا هو (يوهان) طبيب العظام الألماني ، عاد من العمل فوجد أن العجرة باردة لكني شبه عار . وضع يده العملاقة على جبيني وهتف

- ، أنت محموم ! . . لابد أن حرارتك ٢٩ منوية ،

قلت له وأنا أرتجف:

- ۱ أشعر ببرد شديد! ه

- اهذا متوقع ... محموم مع قشعريرة .. وجهاز النكييف بعمل بأفصى طاقة له . سوف تصاب بالتهاب رئوى "

قلت له وأنا أرتجف والكوابيس تلحق بي ، وتحلط بوجهه :

- ا هلا ناولتني بعض الباراسيتامول ؟ ا

أعاد ارتداء المعطف وقال وهو يتجه للباب

ـ ، سوف أقدم لك أكثر من البارسيتامول . ـ أنت تعانى غالبًا من الوباء المو حدثونا عنه ،

وأنا أفتح عيني بصعوبة لأن الضوء يعميني:

_ ، حمى صفراء ؟ أنا أخذت اللقاح .. ،

_ ، وكذلك كل من أصيبوا بها . . سوف أبلغ د . (رونالد فالدانو) ،

كنت أفكر .. هذه إذن من الحميات ذات المسار الثنائى .. مُنحنى العمر يشبه الجمل ذا السنامين .. مرضت .. تحسنت .. مرضت .. هذا لو كاند نفس الحمى التى أصابتنى من أيام معدودة ..

كنت أزداد سوءًا .. وشعرت بأن حالتي سيئة فعلًا ...

هناك كانت د . (جولييت) تتقدم منى فى ثبات عبر محيطات الفي التقول لى :

ـ د أنا سعيدة أنك حار الدماء صاحب انفعالات .. إن التعامل مع آخرين يشعرني بأنني في ثلاجة ،

فعلًا أنا حار الدماء .. أعرق بغزارة .. أتنفس بصعوبة ..

كنت أعرف جيدًا أننى أمر بحالة هذيان الحمى Delirium ... مزية أن تكون طبيبًا أنك تعرف ما يحدث لك وقت وقوعه ...

كانت هناك محفة .. كان هناك رجلان ضخمان يتعاونان على حملي لأرف على المحفة .. كانت هناك ممرضة .. كان هناك ممر طويل تحت الأنوار الكشافة . كان هناك من ينظرون لى من أعلى في شفقة وتهيب كانت هناك غرفة كتب عليها (معزل) ...

قلت لنفسى إن رجل الأمن سوف يمنعنى من الدخول ، لكنه أفسح لى على الفور .. رأيت (برتران) يميل على ويتكلم . رأيت د . (فالدانو) بوجهه الأفريقي المنعاطف الوسيم ينحنى على . رأيت دسعتين في عيني (جولييت) .. رأيت زجاجة المحلول .. كنت هناك أنظر للسقف وأقول لنفسى إنني على الأرجح لن أموت . لقد مرزت بهذا الموقف مرازًا . سوف تشفى يا علاء ، وحتى لو لم تشف فالموت بهذه الطريقة لا يبدو مرعبًا .. فقط ستضل طريقك وسط المزيد من الهلاوس والرؤى .. ثم الظلام النهائي ..

سوف أذكر دائمًا وهج الكشاف النيون في السقف .. جو الهلوسة العام .. وجره الممرضات ..

كنت أغيب في الهذيان ثم أعود ..

ثم بدأت أتبين أين أنا ...

أنًا في كوبا في نهاية القرن التاسع عشر

أنا جندى أمريكي

لاشك في هذا ...



9 ـ في الأحراش ..

الجرء النالي ليس من خطابات علاء ل (برنادت) : العام ١٨٨١ ، .

الثكنات حارة .. العرق يغمر كل شيء . أنا أجلس بالسروال فقط أنظم فوهة بندقيتي بسيخ عليه قطعة من اللباد ، وأدخن سيجارًا كوبيًّا غلبظًا زملائي من الأمريكيين يقوم بعضهم بتلميع حذائه أو ينظف بندقيت المنافقية ألمور كهذه ..

جلس (هنری) فتی ألاباما جواری .. (هنری) شاب طویل نحیل کی الأطراف .. له لحیة شقراء مشذبة بعنایة .

كان يلهث والعرق يغمر وجهه.. تحسس جبينه وقال:

- د أنا مرهق . أعتقد أنني مريض ،

رددت عليه مطمئنًا:

- « لعلها الملاريا »

قال وهو يتحسس جبينه:

ـ الله العرف الملاريا جيدًا .. أعتقد أنها الحمى المنتشرة بين الجنود .. كان هذا يثير القلق في النفوس ... الجندي يصاب بحمى ووعكة بصعة أبام .. ثم يشفى يومًا .. بعدها يبدأ النزف من فمه وأنقه ويصير لونه أصفر كاللهمونة .. ثم نفوح منه رائحة عفنة ويموت ..

الحمى الصفراء .. لعنة أمريكا الجنوبية ..

. كن أحد بعرف كيف تنتقل . .

علم المورتمان) زميلنا من أراجون .. له علامة مميزة هي اتصال شاربيه الله علم علم علم الله علامة مميزة هي اتصال شاربيه الله علم جوارنا وأشعل سيجارًا آخر ، وقال :

١٠ هذه الحمى تنتقل بالبعوض ١٠٠٠

قال (هنری) ساخرًا :

مرض ينتقل بالبعوض ؟ أنت تمزح .. الحمى الصفراء والملاريا ينتقلان الهواء الفاسد »

فال (بورتمان) في عناد :

- ۱ د . (كارلوس فينلاى) قال لنا إن الأهالي جميعًا يؤمنون بوجود بعوضة . . »

- ا فينلاي كوبي . . ماذا يعرف هؤلاء عن الطب ؟ ،

- ا يعرفون كل شيء عن أمراض بلادهم ا

قال (هنری) وهو پرتجف :

- الولايات المتحدة أرسلت لنا طبيبًا عسكريًا أمريكيًا .. هذا رجل بارع أثق به .. اسمه (والتر ريد) »

- (والتر ريد) ؟ ،

للأسف لم يعش (هنرى) حتى يرى (والتر ريد) . كان هناك في الدغل مدفونًا في ظل شجرة وقد وضع صليب على قبره . بالواقع كان هناك حشد من الصلبان . المرض كان يحصد الجند حصدًا . كثيرون لن يعودوا للوطن .

فسوف يُدفنون هنا .. لم يموتوا بالطلقات بل بذلك القاتل الغامض اللي بعر

كان الوضع يزداد خطرًا وأثناء حفر قلاة بنما كان خمسون عاملًا يمونون في كان الوضع يزداد وقد فشلت فرنسا في حفر القناة بسب هذا العانق البيولوجي .

هنا فقط طلبت الحكومة الأمريكية من (والتر ريد) أن يذهب لكويا.

طب المناطق الحارة هو علم يوشك أن يحتكره الأطباء العسكريون. فالجنود يغزون بلدًا جديدًا ثم يبدءون في الموت .. هنا يستغبث الفادة بالأطباء ، وسرعان ما يكتشف سر حمى مالطا .. البلهارسيا .. اللبشماليا الحمى الصفراء .. الملاريا .. مرض اللوم .. إلخ ...

هكذا جاء اليوم الذى وقفنا فيه فى الشمس فى وضع انتباه ، ثم طبر الميجور (ريد) . . أدركت أنه نحيل أسمر له شارب رفيع كشوارب الأوغاد فى السينما _ وهذا انطباع خادع طبعًا _ ونظرات مصممة . جوار (ربد) بمش طبيبان عسكريان كوبيان هما (لازيار) و(أجرامونتى) .

وقف (رید) ینظر فی عیوننا ثم صاح :

- • أنتم أمريكان شجعان وأعرف أن بوسعى الاعتماد عليكم ، قال (لازيار) الأقل رتبة :
 - ا نحن نحاول البحث عن طريقة انتقال الحمى الصفراء ،

قلت لنفسى ساخرًا إن هؤلاء الشباب سيلقون حتفهم بالحمى الصفراء قبل أن يدرسوها .. لكن لو قال مجنون ما إن هناك مرضًا ينتقل بالحشرات فلسوف أجن غيظًا .. الحشرات لا تنقل أى مرض .. كل عاقل يعرف هذا .. فو الله التالية جعل (ريد) حياتنا جحيمًا .

الله فام بننظيف العنابر ورشها بالمطهرات . وتأكد من حرق جئث الموتى

زكن الوباء ظل شرسًا يفتك بالجميع ، وقد قلت لنفسى إن هذا الوباء قد يتفل بطرق عدة لكن الهواء الملوث ليس من بينها . . الهواء نقى في المعسكر

العقيقة أن (ريد) لم يكن ينام . ازداد نحولًا وشحوبًا وبدا لى أن كل حالة من مفراء تأخذ عامًا من حياته . . لو مات بالحمى الصفراء فلن يلاحظ أحد . كان يجوب المعسكرات كلها يناظر الحالات التي ظهرت بين الجنود .. بنففد العنابر ويتأكد من نظافتها . والحقيقة أن هذا يعتبر لعبًا مع الموت ، فلا يوجد لقاح أو علاج للمرض . وجاء (كارلوس فينلاى) ليقول في ثقة :

- الأهالي مصرون على أنه البعوض ،
 - قال (ريد) :
- الم يثبت في التاريخ الطبي أن البعوض ينقل أي مرض ٤
- الذن نجرب هذه الفرضية . . على الأقل يمكننا نفيها بشجاعة فيما بعد ا

وقف (ريد) أمام الجنود وتحسس سيفه المتدلى على جانبه وقال بصوت جهوری:

- ١ التجربة التي نحن بصددها خطيرة جدًّا . . أنا بحاجة إلى ثمانية جنود شجعان .. شجعان لدرجة التضحية بحياتهم ، ساد الصمت .. نحن جنود وقد جننا هنا لنموت أو لتحارب وسط الرسام لكننا لم نأت لنكون فثران تجارب .. على أن التردد حاجز ينهار بسهولة مع أول طرقة ثم يتهاوى كله ..

تقدم (بورتمان) ليقف أمام (ريد) ويؤدى له النحبة العسكرية :

ـ ا أنا جاهز يا سيدي ...

۔ « أنت رجل شجاع »

هنا تقدم جنديان آخران وأعلنا التطوع ...

لا أدرى أى قوة شيطانية جعلتنى أخجل من نفسى . تقدمت بخطوات ثابنة وأنا أشعر كالموشك على الإغماء وأديت التحية العسكرية :

۔ انا معك يا سيدى ،

لم يعد التراجع ممكنًا على كل حال ..

وقام (ريد) بأخذ موافقة مكتوبة من كل جندى سيشترك في التجرية ، وهي أول مرة يتم فيها هذا الفعل في التاريخ .

كان علينا أن نسحب أعواد خشب لنعرف من سيذهب للكوخ أ ومن سيذهب للكوخ أ ومن سيذهب للكوخ ب..

كانت تجربة مصممة بدقة وعناية تدل على تفكير علمي ممتاز

هناك الكوخ أ وهو كوخ نظيف تمامًا . الأرض مكنوسة والملاءات ناصعة البياض والطعام صحى ، فقط هناك أحواض يتناسل فيها البعوض . لحسن حظى لم أكن من الأربعة الذي اختاروا هذا الكوخ .

روس من السري كابوس فذر بمكن تحيله .. كان من تعس حظى أن من عنابر من الكوم ، السار في كل مكان .. وهو عبار مأخوذ من عنابر السفراء الوسائد منسحة والملاءات ملوثة بدم وقيء من ماتوا بالحمى الماق الموتى وأدوات طعامهم .. كل شيء ملوث بالإفرازات ..

الله الكوخ بمرية واحدة هي أنه لا يوجد بعوض فيه ... أبيد الموس لمامًا مع وضع شبكات سلك محكمة على التوافذ والأبواب .. أي أن الله هنا بمكن أن بموت بأي طريقة ممكنة لكن ليس بلدغ البعوض .

كنت أفرغ معدتي من الاشمئزاز .. وسألت (ريد) وأنا أتماسك :

- ا هل هل بدلل هنا طویلًا یا سیدی ؟ ه

- اسبوعين ا ... هذه فترة كافية ا ،

كان هذا ألعن خبر سمعته في حياتي ...

قال لي في مرح:

- استعطیك كمیة ممتازة من السیجار الكوبی الفاخر .. إن رائحته ستقضی علی أی رائحة أخری لكنها لن تطرد البعوض الله الله الله تعالى أی رائحة أخری لكنها لن تطرد البعوض الله الله تعالى أی رائحة أخری لكنها لن تطرد البعوض الله الله تعالى أی رائحة أخری لكنها لن تعالى الله ت

سبكون على أن أكتم تنفسى وأن أنام على الأرض . لكن (ريد) السادى قد حرص على أن يرش الأرض بطبقة غبار كثيفة مأخوذة من قبور من ماتوا

بالداه .. الآن عرفت لماذا جعلونی أوقع .. من الوارد أن أرفض كل هذا لدی بدء

التجربة.

10 ـ الكابوس يتقدم ..

الجزء التالي ليس من خطابات (علاء) لـ (برنادت) :

فى جزيرة (بريادوس) كان أول ظهور للحمى الصفرا، في الأمريكير ثم إنها ظهرت في شبه جزيرة يوكاتان في المكسيك ، وفي العام ١٧٤٤ المنه على المرض الغريب الذي يجعل الدم بنزف من كل مكان .. أطاق عليه الحمى الصفراء .

يزحف المرض الرهيب عبر البرازيل ، وقد وحدوا أن مزارع القصب عبر قد أنعشت البعوض ..

فى العام ١٨٦٦ يظهر المرض فى نيويورك بالولايات المتحدة ، وهذا نعبر غريب لظهور المرض فى قطر غير حار ، بعد هذا ظهر المرض عدة مرات في نيو أورليانز حيث توجد اليوم مجموعة مقابر تذكارية لضحاباه ، وكان أخرو أمريكى شمالى عام ١٩٠٥ . يقال إن الحمى الصفراء هى سب نقل الحكون ورئيس الجمهورية واشنجتون لمقر العاصمة من فيلادلفيا ـ التي كانت العامل أولًا ـ إلى موقع واشنجتون المالى . أى يمكن القول أن فبروا حدد مكن عاصمة الولايات المتحدة ، ولولاه لكانت فيلادلفيا هى العاصمة .

كان هناك وباء رهيب في جبل طارق كما كان هناك وباء شرس في برشلولة عام ١٨٢١ .

لقد كان هذا الوباء قادرًا على قهر الجيوش كما فعل الطاعون من قبل أرسل (نابليون) جيشًا إلى أمريكا الجنوبية ، فلم يعد سوى ثلث هذا الحيش بسبب الحمى الصفراء . . وهو تقريبًا نفس ما حدث لجيشه في حصار عكا

للد اعتاد الوباء المخيف أن يغادر أفريقيا إلى أمريكا ، لكنه _ لسب ما _ لم يدخل آسيا قط .. ربما لأن لون بشرتهم الأصفر قد خدع الوياء الأصفر ..

كت ارتجف والحمى تعصف بي ...

كنت بحاجة إلى جرعة عاء ...

كنت بحاجة إلى يد باردة تمسك بيدى ..

عندما فتحث عيني في الظلام والعرق همست مناديًا (برنادت) = ـ ا أنا بحاجة لك ١ ١

أنا بحاجة لسارة الندية الرطبة .. أريد أن أبلل بها شفتي ..

الموت وحدى هنا في قلب أفريقيا المظلم .. قلب الظلام كما وصفه ا جوزيف كونراد). وحيدًا في بلد لا تعرف لغتى وعاداتهم تختلف عن عاداتي ...

جثة مكفنة تنقل في تابوت إلى مطار القاهرة حيث ينتظر أخي ... (برنادت) تبكى بالثوب الأسود .. ستبدو فاتنة بحق .. أسود على أبيض .. الحمى . . موجات من الغيبوبة تعصف بي · ·

في الظلام أسمع صوت د . (فالدانو) يقول لمدير الوحدة :

- د إنه قوى .. النزف لم يبدأ بعد،

- ا سننقل له دمًا وصفائح وتعامله كفشل كبدى . لو بدأ النزف فلربما - ١ ولو نزف ؟ ٢

أفلت من يدنا ه

مددت بدى وتحسبت أنفى - لا يوجد بلل النا ألوف الله حنر فيل هذا تجربة فيروس العبون اللاتي تدف دما في الكاميرون القد حرد برغم كل شيء المناعتي قوية المدفوني

موحات الغيبونة تحملني من جديد عبر الزمن والمسافات موحات الغيبونة تحملني من جديد عبر الزمن والمسافات

إلى كوبا .. إلى العام ١٨٨١ ...

أنا هناك في الكوخ ب..

米米米米

أي حياة قدرة هي ا

الا أفضل الموت أيها الكولوئيل -

الملاءات منفعة بدم صار أسود تمامًا .. وآثار الفيء الذي كان أعمنر لا أريد ملاءات _ سأنام بلا غطاء .

الأرض ملينة بإفرازات جاهة

الغبار في هواه الغرفة مع رائحة أحشاء الجنود الأربعة الحنود الأمريك. الدين لم يعودوا يتحملون ، وصرخ أحدنا وهو يركض نحو الباب :

_ ، أخرجوني من هنا ! . أنا منسحب _ لا أريد ! ،

لكن الباب موصد حيدًا بحنزير .. وهناك حراسة محكمة

راح الغبار يتساقط من الباب المتسح ، وجرح قبضته . . قلت له أن ينحمل نتيجة اختياره كرجل .

من الطعام بهدو كثيثا كريفًا ، وهم يدخلونه لنا عبر نافذة صغيرة يهن الطعام ملوثة طبقًا وكنا نراقب العالم الخارجي غير السلك الشبكي المن المعسكر وتدريبات الحدود ونشلهي الموث

ون تصور مدى بطافة وراحة الكوح أحيث الماتات ناصحة البيان وراحة الكوح أحيث الماتات ناصحة البيان وراحة الكوح أحيث الماتات ناصحة البيان وراحة الكركان وراحة المنظنات والأرض حالية من التراب لكن كان على كان على التراب لكن كان على التراب المعوض كتير التراب المعوض كتير التراب المعوض ..

الوم مستحيل مع كل هذا الأزيز

مكدا مر أسوعان على الفريقين

لع الرف أن الوقت قد من ... كنت أحسب أننا مثنا ودخلنا جهنم حبث العميم الأبدى ، إلى أن سمعت سوت (ريد) بالطارح وهو يعدر أواس، بلتح لجزير

تخل (ربد) والرجال إلى الكوخ وكتموا ألفاسهم بسبب الراتعة الكريمة شا تحول المكان إلى مدفن فتران من الراتحة

معلى ويصق وطال لتا :

١٠ هل أنتم بحير ١٠

فال أحديا وهو يستمس

- ا بحير كأي واحد بعيش في مركه في المدار ا

- ا هذا حميل ا

کان الأمر واضحًا ۔ کلتا مشمئرون متفرزون کریھو الرائعة ، لکتا ، یہ فی حاله صحیة ممتازة . لا یوجد مرضی ۔ فال (رید) لـ (لازیار) :

_ د سجل هذا .. الكوخ ب كلهم يخير ه

ثم أنه تحرك مع الرجال ، بينما خرجنا نحن من الكوخ الحميم عبر مصدقين ـ فتح أحدهم جنزير الكوخ النظيف أ . . وتصلب الكل

بالداخل كان الجنود جميعًا ممددين على الأرض وسط برك من الدم الذي نزف .. مات اثنان من أربعة ..

ولم يجد أحدهم القوة في نفسه ليقول شيئًا ..

قال (رید) له (لازیار) :

- الكوخ أ . . كلهم أصيبوا بالحمى الصفراء ،

النتيجة واضحة .. نظافة ببعوض معناها الحمى الصفراء .. قذارة بلا بعوص معناها لاحمى الصفراء ... لقد تم البت في الأمر ...

هتف (لازيار) بلهجته الأسبانية :

- * لقد أجبنا عن السؤال .. *

لكن (ريد) لم يعلق ..

كان مجنونًا ككل العلماء .. وقد ظلت التجربة تؤرقه .. حتى عندما الصحالي ضمته كان غارقًا في التفكير . عرفت فيما بعد أن _ هذا المجنون _ جمع عشرين بعوضة من كوخ الحمى الصفراء ، ثم وضعها في كوب .. وألصق الكوب بلحم صدره .. تلقى عددًا هائلًا من الله غات

عد أسوع ارتفعت حرارة (ريد) وبدأت الأعراض اللعينة تظهر عليه ... من حسن حظه أنه تغلب على الداء الوبيل وعاش ليكتب النتيجة : __ البعوص ينقل الحمى الصفراء » __ البعوص ينقل الحمى الصفراء » مده العبارة غيرت تاريخ الطب بالكامل ...

للمرة الأولى يبرهن أحدهم على أن الحشرات تنقل المرض ، ومن رحم هذا الكشف الخطير عرف (دونالد روس) و (مانسون) أن البعوض ينقل الملاريا . . وعرف (تيوبولد سميث) أن القراض ينقل حمى تكساس . لقد تغيرت نطرة العلم إلى كل شيء . .

وكان هناك (بورجاس) الكوبى الذي تولى عمل برنامج مكافحة منظمة للبعوض ... لولا جهوده العظيمة لما أمكن حفر قناة بنما لقد أوشك العلم على قهر الوباء ...

كانت هناك مشكلة دائمة في البرازيل حين يفيض النهر تتحول مدينة ربو دي جانيرو إلى مستنقعات .. وتتوالد إباث البعوض بحرية ظهر طبب بدعي (كروز) قام بتنظيم شرطة للبعوض تلاحقه في كل مكان .. هكذا بدأت حرب المبيدات وحرب ردم المستنقعات .. كانت الحمى الصفراء تنتظر اللقاح ليكون هو الضربة الأخيرة .. إلا في وحدة سافاري بالكونغو !!

الجزء التالى ليس من خطابات علاء ل (برنادت): أنا مريض .. أدرك جيدًا أن الصفراء عالية في دمي .

عندما أنظر لكفى فى النور الخافت أرى اللون الأصفر بوضوح .. أنا بعاجة لمرآة لأرى اللون اللعين في عيني ..

عندما مررت بيدى على شفتى وجدت دمّا أوشك أن يجف . أنا أنزف إذن .. شكرًا (والتر ريد) . . لقد كانت معرفتك ممتعة ، لكن العالم الآخر يناديني كما ترى . المسئوليات ! . . ثم ينهض صوت يصرخ في داخلي : انهض ! . . لن تموت ! . .

أنظر لزجاجة المحلول .. لا أستطيع قراءة المكتوب ..

الممرضة تدس أقراصًا فى فمى ، وتحقن سائلًا ما فى القناة الوريدية . ومكن أن أخمن ما يستعملونه . ومن حين لآخر يظهر وجه د . (نظير) الباسم أو وجه (جولييت) :

- ا أنت أفضل يا صاحبي .. أنت قوى ،

ومن حين لآخر أرى محفة عليها جسد مغطى بملاءة وهى تغادر القاعة ، ويتعمد أحد الأطباء أن يقف أمامي حتى لا أرى ..

۔ د هل مات ؟ ۽

فيقول الطبيب في ارتباك:

. النعة مقطعية ثم يعود حالا ،

العداع يفتك برأسى . ألم رهيب في محمري العبن خلف الكرتين أيا واهن . العرق يغمر الفراش.

كت هناك مع (والتر ريد) ..

كان يحلس إلى مكتبه في الخيمة .. مكتب ميداني يسيط وعملي جدًا . أمامه إذاء ملى، بالقهوة ومجهر وبعض شرائح . وكومة من الأوراق قال لي:

- البعوض هو المسئول . يحب أن تبيده . أما الجرثومة تفسها فقد فللت كل مرشحات البكتريا في عزلها - أعتقد أنها كانن أصغر من البكتريا

فال لى وهو ينزع عوباته الرفيعة .

- ا ما أراه تحت المجهر شيء عريب الايمكن أن يكون كالنّا حيا بل هو لكل زخرفي عجيب .. لا أعرف مصدره .. ٥

ثم أشار لى كى أنظر وقال :

- ١ هلم خذ نظرة ١

كان هذا التبسط غير معتاد ، فأنا في النهاية محرد حمدي . لكني قدرت أن كل شيء ممكن في الهلاوس .. وسمعته بقول - د أنت تهذى الهذا من حقك أن تستعمل المحهر الخاص بي ،

not were and the second to the



كان سنظرًا عميدًا منظرًا رحرفيًا لا يمنا للطبيعة نصلة الطبيعة دؤيد هندبيًّا ويعنى البلورات قد تصينت بالحيرة أو رأيتها تعند الفجهر ، تكن ف الشكل الأنهال لا يمنا للهندسة الطبيعية بل هو ثم بيد إنسان

فال لي ريد

ده لضور آن دی هذا فی آخشاه النعوان ه لغرت له فی عدم فیم ... ورفعت خاصی مشادرا رأیه

فال وهو يحك شاريه :

- الفقاء رسالة لنا رسالة من عالم أمير تعسرنا بشيء مهم الكر ما هو ؟ ء

الماسكت من فرط الميان ولرنست فالم

- ۱ المكنت فيم هذا با سيدى الكن بالنسبة لى الدا أعلوس وغير مدر على النفكير بشكل منظم ه

وقبل أن بنول شبدًا كان العالم في اسود من حولي بالكائدا ، وأعتلد التي سقطت فاقد الوعي ...

هكدا مصت أبام ص الهدوس

ركس في النهاية فتحت عيني فرأيت النور المتسلل من الستائر ، ورأيت ورأيت ومدري ورأيت عيني في أذنها .. كنت أتنفس بشكل طبيعي وصدري وصدري مالة طبة . أدركت أنني كامل الأطراف وأنني أتمتع بحيوية .

قلت لها هامسًا:

١ أنا أتحسن ١ ،

تهدت في سعادة وقالت :

- ١ بل أنت تحسنت فعلًا . . أنت قهرت الحمى الصفراء بالفعل . . ه

كانت تمضى الساعات جوار فراشى . . تحكى لى أشياء كثيرة . نحكى لى عن اللت . . تقص على قصص جول فيرن لم أسمع عنها قط . . تحكى لى قصة حبها القديمة . كانت تحكى لى عن الخرافة التى انتشرت فى الوحدة والتى رعمت ألها ملعونة مشئومة تجلب النحس . .

قالت إنها تعرضت لموقفين ..

الموقف الأول أنها كانت واقفة في الحديقة تحت نافذة .. عندما صرخت صديقتها النرويجية ، وهوى أصيص من الأزهار في المكان الذي كانت فيه المولييت) . بالطبع لم يجد أحد أي واحد في الطابق الذي كان فيه الأصيص هناك من قذف الأصيص وفر ولو سقط على رأسها لتحول إلى فتات هناك من قذف الأصيص وفر ولو سقط على رأسها كهرباء غرفتها . كان هناك الموقف الثاني كان نوعًا من العبث في أسلاك كهرباء غرفتها . كان هناك مشحون عار ينتظر بالضبط جواد زر النور .. عندما تدخل في الطلام تعد للك مشحون عار ينتظر بالضبط جواد زر النور .. عندما تدخل في الطلام تعد للك مشحون عار ينتظر بالضبط العاري ...

قلت لها في ذعر:

- « هدا خطير جدًا ... هم يذهبون لأى مكان ويفعلون أى شر وصل الأمر إلى اقتحام غرفتك إذن »

قالت ضاحكة:

- « الحقيقة أننى أضأت الهاتف المحمول لأبحث عن مفتاح النور .. بعنند الأحمق أننى أمتلك حاسة توجه فراغى عالية ، لكنى في كل ليلة أبحث عن المفتاح . كان سهلًا أن أجد السلك العارى .. وبالطبع لم نعرف من فعلها ، - « لابد أن هناك طريقة .. البصمات »

ضحكت من جديد وربتت على يدى بيدها المعروقة الباردة وقالت ــ « الأمر لا يستحق كل هذا الضجيج على كل حال »

هكذا صمتت ..

الحمد لله .. أنا أتحسن ..

أتحسن باستمرار ..

الكفة قد مالت فصار الوباء هو المهزوم الذي يحاول التماسك أمام مناعتي وعندما استطعت الوقوف أخيرًا كنت أترنح وساقاي من مكرولة لكي كنت أعرف أننى سأستعيد قوتي مع الوقت .. كانت أمي تقول بالعامية ما دام العود موجود .. اللحم يجود » وهو كلام صحيح فعلا . ما دمت الموجودًا فاسترداد الوزن والعافية مسألة وقت ..

وجاء اليوم الذي سمح لي فيه بمغادرة العنبر

اليوم الذي رأيت فيه الشمس وشممت الهواء .. اليوم الذي حريث عضلاناً فخذي فيه المشي من جديد .

12 ـ الطفرة التي كانت ..

عربرتی (بربادت) :

التذريشدة على تأخر خطاباتي لقترة طويلة كنت منهمكا في مكافعة توا، الذن اجتاح الوحدة . . أحيانًا يبدو الجلوس على الكمبيوتر وكتابة خطاب عنَّا لمن أصنه الهموم.

أرجو أن تكوني يحير وكذلك سارة العزيزة . إنها تخطر ببالي أكثر من اللازم

و تقالي على بأي صورة .. تعرفين أنني أثمتم بمناعة طيعية بعد كل ما برت في طافاري ـ من التمعيم أن أصاب يحمي ترفية ...

أقام لى الزملاء حملًا صغيرًا لمناسبة يعلول شرحها ، كانت المشاعر دافلة ولعرت لأول مرة ألني أحبهم وأنهم يحبونني ، حتى البرتران ؟ أوح الثاج الل اله معبد بوجودي ..

النوالي أغلبه ا

- ا لأنه رجل عليب ه

والتحوا إصاحات المعة التي لم ألتوقها بالغة ، ولسبتا مع الوقت فناع الموت الأسم الذي يرحل هناك في طرفات مافاری _ قصة (إدحار آلان س) _ للد عرل العلت تفسه عن الشعب نی فصر منيف ، لكن صفا مربا طهر في القصر وراع بجول من طرفة واخرار .

افترح المدير أن يمنحنى أسبوعًا إحازة ، لكنى أسروت على أن أبدا عمر بورًا . لا شيء يمكن أن يجعل المرء يمرض ودكنت مثل الجاوس الاعمر فقط فلبت منه المناسبة هذا اللطف أن يسمح لي يبعض الوقد في قسم الجراحة . لو أراد أن يدللني قليبعدني عن الحميات

ضحك كثيرًا ثم قرر أن يبتديني في قسم جراحة العظام لمدة أسوعين لم يكن هذا ما أردت ، فأنا أكره طب العظام ، ثم إلى لا أريد أن أرد المزيد من (يوهان) الألماني ، لكن ليس من الحكمة أن أستغل كرم المد. أكثر من هذا ،

هكذا تجدينني أرتدى بذلة الجراحة وقد تلوثت ثبابي ولحيتي بالحسر، وأنا أمشى بين الأسرّة كأنني جراح عظام عتيد كان هناك الكثير مما بجرأن أتعلمه .

قال (یوهان) عندما رآنی :

- ١ هل وصلت داعش ISIS إلى قسم العظام ؟ » فلم أرد .. المزاح السمج لا يستحق الرد ..

راقبته وهو يعمل فأدركت أنه الشخص المناسب للعمل المناسب . بكل هذه العضلات والقامة الفارعة لا يجد عسرًا في معالجة العظام .. وقد رأبته بحرى جراحة تغيير مفصل فخذ ، فأدركت أنه بارع فعلًا .. لا بأس ..

في ذلك الوقت بدا أن الوباء بدأ يتراجع نوعًا بعد ما حصد ١٢ رأسًا ..

على العالات تنحسن ، تقبل مع الوقب .. وأذركنا أن النصة ستنتهى

. 6

كان المدير بنتظر نتيجة التحليل الجينى للفيروس إنه يحلل في مختبرات CDC في أطلنطا ..

عد أحوع جاءت النتيجة كما شرحها لى بروفسور (ناجوياما) اليابانى . مقالا أسنطبع ذكر التفاصيل ولا التغيرات في جينات الفيروس ، لكن هذا حروم داء نتيجة طفرة جينية ، وهذه الطفرة جعلته يقاوم الأجساد المضادة انى صنعها اللقاح ..

هذه سلالة جديدة لم يعرفها العلم من الحمى الصفراء ، وهي قادرة على لا تصب من تلفوا اللقاح .. هذا ما حدث معى طبعًا" . أطلق البروفسور عليها اسم YF_Cong ..

مألت البروفسور عن سبب هذه الطفرة فقال :

- اهناك احتمالان .. الاحتمال الأول هو خلل في عملية ترحمة الحينات وهذا يسبب الطفرات التي تورث بدورها .. هذه أشياء تحدث بمكن لصعط الشاح أن يتسبب في هذه الطفرة . الحياة تبحث عن مخرج ، وكلما ابتكر الشاح أن يتسبب في هذه الطفرة . الحياة تبحث عن مخرج ، وكلما ابتكر الطاع أن يتسبب في هذه الطبيعة بفار أذكى ، الاحتمال الثاني هو أن هده العلماء مصيدة بارعة جاءت الطبيعة بفار أذكى ، الاحتمال الثاني هو أن هده أخرية بيولوجية تمت بدقة .. أي أن هناك من يرتب لحرب بيولوجيه وهدا الفيروس من إنتاجه . .

- ا وهل من طريقة لترجيح أحد الاحتمالين ؟ ١

(۱) سى (علام) هنا أنه يخفى خبر مرضه عن (بردادت) الراق لساله _

هر السه سا معتاه آن هذا صعب

- هناك أوبئة كثيرة تحوم حولها علامات استشهام - هل جاء الإبدر مر لفضاء الخارجي أم نشأ في مختبر ما لدولة معادية ؟ أم هو طفرة حدثت غيروس يصيب القردة ؟ . أرى أن سلالة الحمي الصفراء الجديدة قد القرمت عملا قلم يعد من مجال للكلام ، لكن العينات موجودة في أطلاطا ومعسال لمن يريد في المستقبل » .

قال هذا كله يفرنسية يابانية فطيعة .. فهمت بعسر بالغ ... عند العساء حلست مع (برتران) السمح و(حوليت) لتناول العشاء في الكافتيريا ..

قال لي:

_ د هل الت بحسر ٢ ه

ـ ٤ من الحرم أن أكون أقضل ... ١

- ، لفتقدك في قسم الحسبات ١ ه

لم أجرؤ على رد المحاملة .. فأنا فعلا سعيد بالانتعاد عن هؤلاء وعاعده قال (يرتران) وهو يمهك البطاطس بالشوكة

_ ، ماذا قال لك (ناحوياما) المسن ؟ ،

رأى دهشتى فقال ببرود:

ـ ا كتب تمشى معه في الحديقة اليوم . ،

حكيت له ملحس ما حكاه لي (ناجوياما) .. فهز رأسه موافقًا وقال :

هاهو ذا مراجه اللعين يتدخل في كل شيء .. ماذا تعرف ألت عن المودة ودف المثاعر يا تمثال الرخام ؟ .. رفعت حاجبي في عدم فهم فقال :

- اراؤه العنصرية لا تروق لي .. لم أحب كلامه قط .. على كل حال هو وجه جديد هنا .. لا نعرف عنه الكثير ،

نظرت له في دهشة :

- ا وجه جدید ؟ ،

- ا جاء قبل مجيئك بشهرين .. لقد أجاد تحويل مختبر الفيروسات إلى وحدة عمل متكامئة قوية ، وأعتقد أنه يملك أجهزة ليست في كينشاسا كلها ،

هكذا اليابانيون .. في كل مكان هم الأنشط والأكفأ .. أي جديد الأقال (برتران) :

- الوكنت مكانك لما وثقت به لهذا الحد . هذا الرجل عرب ا





عزیزتی (برنادت) :

فيما بعد وتحن حالسان في الكافتبريا ترشف القهوة كربية الملاق تر جوليبت) في توبتجية مع (نظير) .. كان (برتران) سمجًا باردًا كاعير لكنه يقول أشياه مهمة جدًا . والحقيقة أثنى مندهش من كون بعدر العربي يملكون عواطف حارة مثلك _ هناك كثيرون معن قابلتهم جمتعون يد البرود ، ولعله نوع من التعالى العرقي _ لا أعرف بالضبط _ قال لي (برتران) وهو يقلب السكر في اللهوة : _ = تصرفات الرجل مربية جدًا ،

ثم نظر حوله وقال لي :

- ا من ألكلم عنه اسمه (آرثر ليونيل) .. كونفولى في سن التدتين زوجته اسمها (بلغى لواك) .. إنه موظف بسيط في السكك العديدية به وروجته يتميان للعقيدة الكيمبانجوية وهي عقيدة مسيحية محرفة حرب قومي البلجيك .. لكن كثيرين هنا يمارسونها ، هذه من النماذح البسيطة اللي يحرم فيها الغرب حرية العقيدة ما علينا .. جاء هذا الرجل بروجته وكت تشكو من حمى غريبة وصداع وصفراء واستعداد للبرف .. كل إبرة أحدث ترفت في موضعها وقد قضيت مع هذا الرجل وروجته ساعات طويلة الد تعبت معه دور الطبيب بحق .. ،

لم أفهم إلام يقودنا هذا كله ؛ لذا قصلت الصمت ...

الفهود بيما قال الروال المراول المراو

قات على القور -

رحيى صفرا، حتى برقية مرحى فايل احتمالات الحسرليا، وحتى صفرا، حتى برقية مرحى فايل احتمالات الحسرليا، ومن مقراء لكن هذا لم يعطر لنا بيال المراة لما المراة لما المراة لما المراة الماحة اللقاح منذ حمس سنوات واللقاح الايقشل تشريبًا ،

وتنهد وقال :

ر قمت عمل انتخالیل اللازمة وأرسلت عملة للدختر كما أرسلت من المعتم الله اللازمة وأرسلت عملة للدختر كما أرسلت من للمختر المعنو أن المعرفة بدأت تتحسن وجاء اليوم الذي وبلاد به وشكرتني على جهودي ه

- (الجني الصفراء قد تشني تلقاليا ،

- ١ ليس هذا هو الموضوع . . ١

المنه هي أنه بعد شهرين بدأت الحمي العملياء تتفشى في الوحدة وباء يعم كل شيء الأستلة كثيرة في لبلة كيده مشي البرتران افي المعر فرأى الكونغولي البوتيل) يستوفقه

قال له اليونيل) إنه قدم الكثير لزوجته وهو مدين له للأبد - لنا سلام له اعترافًا صغيرًا بيدو أنه خطر

- ا قال لى (ليوليل) إن روحته كالت في حال سيلة ، وفي إحدى اللباني عرفه حبذاً على الباني قصير القامة ومعه طبيب من وحدة الحميات بعرفه حبذاً قال إله كان جالسًا حوار فراش روحته بائسًا ، فيدا على الاثلين لوع من البر

كأنهما فوجئا بقدومه . ثم إن الطبيب الآخر قال له بالفرسية إنهما بعامد إلى إجراء اختبار معين على الزوجة . فال (ليونيل) إن الطبيب احرج أنوا زجاجيًّا مسدودًا بقطعة من الفللين . فتعها في حذر ثم الصق فتعنها ساءد الزوجة . . تأوهت قليلًا . . لكنه استمر في الضغط دقيقة . . ثم إنه هر رأمه موافقًا وقال لـ (ليونيل) إن زوجته ستكون بخير وانصرف الرجلان ،

كانت القصة غريبة .. هناك مؤامرة لكنى بالفعل لا أتين خيوطها .. قال (برتران) ضاحكًا لأول مرة :

ـ « يمكنك أن تتخيل ما كان في هذا الأنبوب إذا تذكرت تجارب روس ومانسون وريد ... »

_ « لا أفهم »

- و الأنبوب كان مليثًا ببعوض الايدز إجيبتى .. لقد جعل عالمك الياباني البعوض يمتص دم مريضة حمى صفراء .. فما السبب ؟ "

ـ الاأعرف،

قال في انتصار:

- • تلكم هى نقطة بدء الوباء .. البعوض أخذ جرعة ممتازة من الدم الملوث بالفيروس .. دم ملوث بفيروس لا يضعف أمام اللقاح .. ،

كل هذا معقد جدًا يفوق قدرتى على الاستنتاج .. فقلت له غلب حمارى beats me بالإنجليزية ، فقال في ثبات :

- • لا أعرف . . هذا سؤال مهم . . سؤال يساوى حياة الملايين . . •

_ د هل تعنى أن (ناجوياما) يحتفظ بالفيروس في غدد لعابية للبعوض ؟ ، _ د أنا متأكد من هذا »

رحت أفكر .. لا بد من وسيلة للتأكد

قال (برتران) وقد لاحظ شرودی :

_ و تذكر بعد قدومك بفترة .. هناك لص تسلل لمختبر الفيروسات وشعر به رجال الأمن .. تصرف بخرق وأسقط قفصًا زجاجيًّا مغلقًا .. هل تحرر شيء في الصندوق الزجاجي ؟

السؤال الثاني هو: هل ما قام به (ناجوياما) خطأ وإهمال، أم هو مخطط مقصود ؟ »

كانت الإجابة واضحة .. نظريته تبدو معقولة جدًّا .. لكن لقد صار تفتيش وحدة الفيروسات واجبًا مقدسًا ..

قلت لـ (برتران) في سخرية :

- ا هل تعتقد أننا سنجد علبة مغلقة كتب عليها (فيروس الحمى الصفراء الرهيب المقاوم للقاح) ؟ ،

لم يضحك وقال:

- الا أعتقد هذا .. لكننا لا نعرف ما نبحث عنه .. ربما يطرح شيء

لم تكن هناك حراسة على مختبر الفيروسات في الليل .. لم ثكن الممرضة السمجة هناك ولكن هناك رجل أمن كونغولى لطيف المعشر .. يحلس إلى الكاونتو ويدخن ويطالع محلة مناك في الليل يبدو المكان كله كلغز مظلم .

باردًا كالثلاجة تحت إضاءة النبون وهدير الثلاجات. هنا كان صحب في الصلح لكنه انتهى ... الكل رحل ... نام كل شيء

في ثقة دنا (برتران) من رجل الأمن - وقال له :

- ١ مساء الخير يا زميل .. ١

ـ د مساء الخير يا دكتور ه

قال (برتران) بلهجة عابرة :

ــ ا نسبت مسماعی صباح الیوم فی المختبر ... أرجو أن نسمح لی بالبعث

قال الرجل دون إصرار:

- الا يُسمح بالدخول إلا للعاملين هنا ،

كرر (برتران) الطلب :

- ، أرجوك . . لن يستغرق البحث أكثر من ثانيتين . . يمكنك أن تأنى معا ، قال الموظف وهو يغلق المجلة :

_ د هذا ما سأفعله فعلا ،

واتجه ليغلق الباب الرئيس بمفتاح كان في جيبه ، ثم أشار لنا كي تدخل الله كان هذا أسوأ سيناريو نريده ، فقد أفقد حملتنا أي معنى لها ..

رحنا نمشى بين المناضد التى تراصت فوقها المجاهر .. نذكرت محسر الفسيولوجيا فى كليتى القديمة. كان أكثر من كمبيوتر يهدر ..

- « لابد أنكم صرتم حذرين بعد حادث تسلل لص هنا .. اللص الذي هشم أقفاصًا زجاجية ،

قال الحارس بشكل عابر :

ر كان مصولاً . أعتقد أنه أراد سرفة مجهر غالى الثمن ، وعلى كل حال ولا غُيض عليه ومات بالحمى الصفراء منذ أسبوعين ١ ء

نبادلت و(برتران) النظرات ..

سألته في لا مبالاة متعمدة:

_، هل القفص كان هنا ؟ »

فال رجل الأمن وقد بدأ يتململ:

_ الا .. كان في حجرة البروفسور ... والان هلا الصرفتما المسماع غير موجود ،

وأشار إلى باب موصد .. كتب عليه مدير الوحدة ..

تحت عبارة المدير توقفت . . رأيت شعارًا رسم بخط صغير دقيق كأنه جزء نكميلى للاسم . . في لحظة أخرجت الهاتف المحمول والتقطت صورة للشعار معم احتجاج الحارس ، الذي انفجر غاضبًا . . .

ـ اليس من حقك أن تلتقط صورًا هنا . . أرجو أن تنصرفا حالًا . . أنا مرتاب لى قصة المسماع المفقود هذه »

ثم عاد يسأل في غيظ:

- ا ما الذي تلتقط صورته ؟ »

صار من المستحيل أن نبقى أكثر ما لم نضربه ليفقد الوعى مثلًا .. لهذا المعنا نحو الباب بلا إجابات .. من الممتع أن تمارس شعور المطرود بعض التنا بلا بلا إجابات .. من النا جواسيس ..

قال لى (برتران) وهو يجدُ السير :

ـ د ما الذي التقطت صورته ؟ لقد استفرزته بحق ه

قلت وأنا أجد السير في الممر متوقعًا أن يلحق بي رجل الأمن ليمد الصورة :

- 1 أنا أعرف هذا الشعار .. فقط أريد وقتًا للتفكير ١



14 ـ أوم شنريكيو ..

عزیزتی (برنادت) :

طلبت من (برتران) أن نذهب لحجرته . (يوهان) نائم عندى الآن ولا أريد أن أخاطر بأن أزعجه فينفجر في الشتائم .. مشينا في طرقات سافاري شاردي الذهن . .

فتح باب حجرته وسمح لى بالدخول .. هذه معجزة .. آخر شيء تصورته في حياتي أن يسمح لي لوح الثلج هذا بدخول غرفته.

كانت الغرفة منسقة بعناية ونظيفة تذكرني بحجرتي . أنت تعرفين أنني من أقل الرجال إتلافًا لما حولهم أو إحداثًا للفوضى . وكانت هناك لوحة عملاقة لوجه (أينشتاين) ينظر نظرة مذعورة ، وهناك مكتبة صغير مليئة بمجلات الكوميكس ، مع مجموعة من صور لفتاة باهتة لابد أنها فتاته ..

طلبت منه أن يشغل الكمبيوتر فأخرج جهاز لاب توب صغيرًا وضعه على الفراش .. وسرعان ما كنت قد نقلت الصورة إلى جهازه وقمت بتكبيرها ..

تحت المجهر في مختبر (والتر ريد) .. في الدغل الكوبي مع رائحة الفطريات المختمرة والسيجار والبارود . مع البعوض والتماسيح التي تفتح

فمها في النهر ..

کنت هناك ودعانى (ريد) كى أنظر عبر العدلة .: كان ما رأيته هو هذا الشعار .. يصعب أن أنساه ..



أنا رأيت هذا الشعار قبل أن أراه

لا أعنقد أننى أملك أى شفافية روحية لا أؤمن بكون أحلامي نوغًا من الرؤى تننبأ بما هو قادم . ولكن اللعز ما زال قائمًا انا رابت هذا الشعار في هلوسة الحمى ..

ضغطت على المفاتيح وكتمت خواطرى ...

فتحت البحث الصورى الخاص بحوجل .. يمكنك أن تحمل الصورة والخواجة جوجل سيبحث في شبكة الإنترنت كلها عنها ..

قال (برتران) :

- 1 ماذا يدفعك للظن بأنك ستجدها على النت ؟ ١

قلت شارد الذهن:

- اهذا شعار مصمم بعناية ليدل على شيء ما .. مثل صليب مالطة والنجمة السداسية والسواستيكا .. الخ .. أوقن أنه يدل على شيء ما ... اكان جوجل قد أنهى عملية البحث ..

وعلى الفور ظهرت عبارة:

شعار أوم شنريكيو

ما هذا بالضبط ؟ من هو شنريكيو حتى يكون لأمه شعار ؟ قال (برتران) وهو يبتلع ريقه :

، لفد وجدنا جحر الشيطان .. لم أتصور هذا من قبل .. الرجل وضع الناب على الباب مطمئنًا إلى جهلنا .. أو لعله نوع من التحدى .. لكننا نتحدث من على الباب مطمئنًا إلى جهلنا .. أو لعله نوع من التحدي .. لكننا نتحدث من عنظمة ألف اللعينة ! ا

لم أفهم عن أي شيء يتكلم . لديه خلفية وية عن الشعار أما أنا فلا أفهم مرفا ..

قال ألف كما تقولها في العربية ...بفتح الهمزة وكسر اللام . أول حروف الأبجدية ...

ونح لى صفحة تتحدث عن أوم شعريكيو .. وتنحى ليسمح لى بالجلوس معنربحًا ، وتركنى أقرأ .. فقط جلب علبتين من المثلجات من ثلاجة صغيرة الرنفاع وحجم الغسالة الأوتوماتيكية . وجلس على الفراش يراقب تعبيرات وجهى .

لم أكن حتى تلك اللحظة أعرف أن أوم شينربكبو هي المنظمة الإرهابية المسئولة عن حادث السارين في مترو الأنفاق بطوكبو ، وهي من أقذر المسئولة عن حادث السارين في مترو الأنفاق بطوكبو ، وهي من أقذر العمليات الإرهابية في التاريخ ،

هذه الجماعة المخبولة تنتمى لعالم المؤامرات الني لا تكف عن اتهام المواددة الجماعة المخبولة تنتمى لعالم الماسولية وفكرة المهدى المنتظر هما الماسوئية اليهودية العالمية . أعتقد أن العالم المصحات العقلية في العالم المصحات العقلية المصحات العقلية المصحات العقلية في العالم المصحات العقلية العلية المصحات العقلية العلية المصحات العقلية المصحات العقلية المصحات العقلية العلية العلية

مؤسس الحماعة تبى ذاب اسمه (أساهارا) مؤسس الحماعة تبي ذاب اسمه (أساهارا) معبولة لها علاقة بالبوذية والهندوسية وكان يتلذد بفكرة نهابة العالم (هرمجدون) والمحرقة ، وقد عزج تخاريفه بسفر الرؤيا المسيحى لنا اعتبر نفسه تجسيد المسيح الياباني .

الفكرة هنا حسب كلامه _ أن (هرمجدون) قادمة لا محالة ولسوف بمون الكل عدا المؤمنين . وقد قال الرجل إن موعد (هرمجدون) هو ١٩٩٧ لا أعرف لماذا يختار هؤلاء الأنبياء النصابون مواعيد قريبة بهذا الشكل نفضح كذبهم . لو كنت مكانه لاخترت ٢٠٥٦ .

أطلق المؤسس اسم (أوم شينريكيو) على الجماعة السرية، وهي كلمة تعنى (الحقيقة العليا)..

فى العام ١٩٩٥ فى ٢٠ مارس قرر النبى النصاب أن يبدأ عملية تدمير العالم .. فكانت حادثة قطار المترو .

كانت الفكرة بسيطة .. هناك أكثر من بالون ملى، بالسارين في أكثر من حقيبة بلاستيكية في عدة عربات مترو .. عند ساعة الصفر يقوم كل منفذ بثقب البالون بنهاية مظلة من ثم يتسرب السارين ، بينما يثبت هو القناع على أنفه ويفر ، لم تنجح المؤامرة جدًّا لكنها قتلت ١٣ شخصًا وآذى غاز السارين نحو ألف . لو كان مقياس العمليات الإرهابية هو ، الإرهاب ، فقد نجحت العملية جدًّا . السارين يتصرف بالضبط كمبيدات الحشرات .. لهذا ظن الأطباء أولًا أن هذه حالات تسمم مبيد حشرات .

ين هذه هي الضربة التي قنست على الجماعة وجعلت الشرطة يهلها كانت لديها مفرقعات وأسلحة بيواهجية ومصل الحقيقة وبالأيين عولارات وكان هناك عالم كامل تحت الأرض عند سقح جبل فيوجى ، بل كن هناك زنازين بها أسرى .

عد هذا وحد رجال الشرطة عددًا لا بأس به من قنابل السياتيد في مترو

نم القبض على / آساهارا) مختبثًا داخل حدار ووجهت له تهم عديدة الفتل وحكم عليه بالإعدام.

برغم كل الأدلة لم تعترف المنظمة فط بتدبير حادث المترو .. وحنى اليوم -في العام ٢٠٠٠ غيرت المنظمة اسمها إلى (ألفٍ) _ ويقودها ابنا (أـاهارا) _ اليوم أحد شعار هذه المنظمة في محتبر في الكونعو في طروف كهذه لابد من تفسير . .

هل لديك واحد يا (مرتران) ؟

قار (برتران) =

- ، بمكتا بلا خطأ كبير أن لقول إن البروفسور عدمو في منطعة أوم شبنريكيو - لم يكن لدى المنظمة أي صاح مسئول عن الحرب السولوحية لكنه احنص المكرة طويلا . . ا

خرج العرب ليطمر بالسطمة بعد هجمة المترو .. هكذا لم يعد للمعطمة نشاط يذكر وتحولت إلى ألف مبهمة النشاط. أما الرجل فاستمر في أبعاله وهاجر إلى الكونغو حيث أهلته دراسته لقيادة هذا المركز المهم .. مركز فبروسات في قلب أفريقيا ..

لكن الصيد الثمين كان في الطريق . حالة حمى صفراء ظهرت في المركز مريضة تدعى (بلقى لواك) . من المؤكد أن المريضة تعانى حمى صفراء . بينما هي تؤكد أنها تعاطت اللقاح . تحن إذن تتكلم عن سلالة متطفرة من فيروس الحمى الصفراء استطاعت أن تفلت من ضغط اللقاح ..

هناك طرق فيروسية معقدة للاحتفاظ بهذا الفيروس ، لكن أسهل طريقة هي أن يمتص بعض البعوض دم هذه المرأة ويتكاثر الفيروس في بطنه بطريقة التقدم الحيوى ،

الأن يمكنك أن تضع البعوض في حضائة وتحرى ما شنت من أبحاث يومًا ما ستكتمل أبحاث عندها بمكن أن تبدأ حربًا سولوجية نفض على العالم بسهولة تامة ...

لربما كانت فكرة المحرقة تلح عليه بشكل ديني ، ولربما كانت مص

المهم إن تعليمات (آساهارا) قد خُلقت لتستمر من خلالك أنت لكن الحياة لا تتحرك بهذه السلاسة . المخططات المحكمة تعشل سيهول بيل لم غبى إلى المختبر .. لا تسأل عما يتوقع الأحمى أن يظفر به في مدر فيروسات . فقط هشم القفص الحضالة الذي يحوى البعوض ، وقد تلفى منه فالله دفع ثمنها فيما بعد ..

أما عن البروفسور فقد أدرك ما حدث وأدرك مقدار الهول الدي تحرر

أعنفد أنه كان يتعاطى الريبافيرين بجرعات هائلة ، وهى سياسة لم تنجح مع الحمى المنظمى الذي نسبب مع الحمى المنظم الذي نسبب في نشره ...

للأ الوباء ينقشع وأعتقد أن معظم البعوض قد هلك في حملات الإبادة ، عالم يكن قد نقل العدوى لحيوانات برية ..

لكنى موقن الآن من شيء ملموس .. هذا الياباني عضو في منظمة النياباني عضو في النياباني النياباني عضو في النياباني الني



عزیزتی (برنادت) :

فرغ المدير البروفسور (أرثر برسبن) من سماع قصتى أنا و(برنران) وسب لنفسه القهوة أربع مرات ، ثم تبادل النظر مع (أن ليراى) نانبته كالن عيناه البيضاوان تتسعان مع كلامى ، والحقيقة أن بياض عيون السود يخالطه لون أصفر غالبًا ..

كانت (آن ليراى) تدخن بلا توقف وهى تنابع الكلام ، فلما انتهبنا و برتران) من سرد القصة ، تساءلت :

ـ « كل هذا جميل .. هناك طبيب إرهابي معنا في الوحدة .. هذا ما تلمحان له »

قلت في غيظ:

- « أنا لا ألمح . . أنا أتهم . . على رأى (إميل زولا) » قال (برسين) :

- « لا يوجد دليل ملموس على حرف مما تقولان »

قلت في عناد:

- « ثمة طبيب يابانى يضع شعار جماعة إرهابية على بابه .. في رأيى أنْ هذا كاف .. أنا لا أتعامل ببراءة مع من يعلق صليب سواستيكا النازى " وأضاف (برتران) :

- ولدى شاهد على أنه أجرى تجارب من دون إذن رئيس الوحدة ومن دون موافقة المريض .. تجارب على مريض حمى صفراء ،

رنفت (آن لیرای) ووضعت قنصتیها فنی خصرشا ، ویندت موشکه علی المار ، وقالت :

_ الا يمكن أن أفصله من الوحدة بناء على كلام محازى كهذا ... ، ، نعن لا نفكر في فصله .. نحن نتكلم عن إلقائه في السجن ١١ ،

كان تتعامل كأنها ترى مخبولين أمامها .. ولا شك أنها قالت لنفسها إن را، الحمى الصفراء الذي أصابني لم يرحل دون خسائر .. في عقلي .

كالت القضية واضحة في ذهني . . كل هؤلاء الذين ماتوا بسبب البروفسور . اله فالل . صحيح إنه قاتل على نطاق واسع ، وهؤلاء يميل العالم إلى تبرئتهم كا برأ فتلة (هيروشيما) ، لكن هذا لا يمنع أنه يجب أن يدفع ثمن الساعات السود التي قضيتها أهلوس مع (والتر ريد) ...

كنت أفكر في (والتر ريد) ...

حتى في الرؤيا تدخل . . لمُح لي بالإجابة بما أنه يخترق الأزمنة والمسافات كأنه تعهد أمام نفسه بمحاربة الحمى الصفراء في كل الأرمنة والبلدان هناك بالطبع التفكير المادي العادي : أنا رأبت الشعار أثناء زيارتي الأولى المختبر وتكفل خيالي بأن يقحمه في الحلم اللاوعي يعبث بي بطريقته المعروفة.

هدا احتمال ثان لا بأس به -

كان (برسين) عمليًا ماشرًا كما كونت الطباعي عله محرب المنصدة

- ـ ، سوب بحل المشكلة بسكل عملي . . ،
 - و ا مثل ؟ ٥
- الوكان هو من حلق هذه السلالة فلا شك أنه يحتفظ بعبنة منها الريد على السلالة تنقرض من دون الاحتفاظ بعينة الهذا أرى أن نفوم بعملية نفيني مفاجئة لوحدة الفيروسات ولمسكنه »

كان هذا هو الحل الوحيد فعلًا هناك استجواب الرجل لكن ليس هذا أنسب وقت لذلك ...

قالت (آن ليراى) وهى تدفن لفافة التبغ فى المطفأة ... (أشعر أنها تطنئ السيجارة فقط كى تتمكن من إشعال سيجارة أخرى) :

- « أقترح أن نخبره أولًا وإلا رفع علينا دعوى قضائية ... ؛ صاح (برتران) محتجًا :
 - ـ الكن هذا بمثابة إنذار له .. ا
- « لا يوجد حل آخر .. أنا أرى الصورة كاملة ولن أقصى بقبة حباتي أدفح تعويضات .. »

قلت متوسلًا:

- ١ هل لنا أن نحضر التحقيق ؟ ١

قال المدير في صرامة تدل على أن من يعترض قد انتهى أمره:

- د بالطبع لا .. هذه قضية إدارية .. ه

وساعن العسب الله ليس بوسعنا عمل شيء ____

في اليوم الثاني ساد الصمت الوحدة ...

قالت لى (جولييت) وهي تفحص إحدى حالات الالتهاب الرلوي : - ١ هل سمعت الأخبار ؟ »

ـ ا أى أخبار ؟ هناك الكثير منها .. هناك زلزال في نيكاراجوا وسيول في بنجلاديش »

قالت ضاحكة:

كانت هذه إحابة تقليدية بديهية ، لكنها قالت وهي نيز عنفها النحيل :

ـ ١ بل اختفى .. يبحثون عنه .. ١

كان هذا أغرب خبر توقعته ...

الرجل لم ينتظر ليقاتل .. كنت أتوقع أن ينكر وبقدم أدلة وبحرب بنى .. تركتها من دون تقسير ورحت أركض في الممرات حتى وصلت إلى محنير الفيروسات ببابه الزجاجي الغليظ صعب الفنح .. كالت الفوضي في كل مكان .. دجال شرطة سود ورجال أمن .. وموظفون .. اخترفت ارحام فكانوا بوقفونني في شك فأردد :

فى النهاية وجدت المدير يقف مع (آن ليراى) . . كان قد فتح المعطف وراح يحاول أن يريح كرشه الغليظ قليلًا . . يبدو أنه انتفخ من القولون العصبى ... الجدية والخطورة والصرامة على ملامحه .

كانت هناك ثلاجة كبيرة مفتوحة . . وعلى الأرض وجدت شظايا زجاج كثيرة .. قال لى عندما رآنى :

- ، خذ الحذر .. البعوض في كل مكان .. ،

لم أفهم .. في هذه اللحظة ظهر فتى يحمل أسطوانة على كتفه ويضع قناعًا ضد الغاز ، وراح يرش كل شيء بما فيه تحن ..

الدخان .. السعال ... قطرات ندى تتكاثف على كل شيء ..

- ١ هذا سيفين .. لا تتنفس بعمق ١

كنت أحاول فهم ما يحدث فقال لى المدير وهو يكتم أنفاسه :

- « أخبرته أمس بشكوكنا .. اليوم هو مختف.. لم يظهر في وحدة الفيروسات .. وعندما فتحنا المكتب وجدنا هذه الثلاجة المعطلة مفتوحة واضح أنها كانت تحوى قفصًا زجاجيًّا وقد قام بتهشيمه لينثر البعوض في الوحدة »

صحت في رعب:

- د رباه ! . . إذن كان يحتفظ بالبعوض القاتل "

- • وكان يقدم له الفئران ليتغذى .. المشكلة الآن أن البعوض تحرر ،

وسط الدخان الخانق قالت (آن ليراى) في حزم : و لقد عزلنا هذا القطاع إلى أن ينتهى الرش و الم سألتها في ارتباك :

_ د وماذا عن غرفته ؟ ه

_ وهناك فريق سيقتحمها الآن . . واضح أن (ناجوياما) فر من الوحدة . . ، كان هذا الانتقام الأخير للبروفسور المجنون .. فشلت خطته فقرر أن يهدم المعبد على رأس الجميع ...

هنا تذكرت شيئًا فصحت :

- الا تدخلوا غرفته قبل أن
 - « قبل أن ماذا ؟ »
 - « أين غرفته ؟ »

وقبل أن ترد رحت أركض عبر الممرات .. ولا شعوريًّا اتجهت إلى الجناح الشرقى حيث مساكن الأطباء الكبار .. كانت (آن) تحاول اللحاق بي راكضة . هناك أمام باب غرفة وقف عدد من رجال الأمن يقرعون الباب . . وبدا واضحًا أنهم سيحطمون الباب ...

قلت لهم متوسلًا:

- « لابد من دخول هذه الغرفة من النافذة .. لا أريد أن يستعمل أحد

الباب ، نظروا لى في عدم فهم . . من أنت كي تصدر الأوامر ؟

لكن (آن ليراى) صاحت بشخصيتها القوية طالبة أن يمتثلوا .. قلت لرجل الأمن :

- « أعتقد أن هناك شركًا وراء الباب .. الرجل مجنون .. ،

فكر رجل الأمن ثم اقترح أحدهم استعمال الإفريز القادم من الغرفة المجاورة وتهشيم النافذة من الخارج ...

بدأ التنفيذ .. من فعل هذا كان رجلًا رشيقًا صغير الحجم أقرب للفراشة .. اختفى في الغرفة المجاورة .. حبسنا أنفاسنا .. بعد دقائق سمعنا صوت تهشيم الزجاج ... ثم سمعناه يشهق

بعد لحظات طويلة انفتح الباب ... ودخلنا .

كان يقف وسط الغرفة حاملًا قارورة زجاجية كبيرة .. فارغة تقريبًا إلا من سائل أصفر رائق . وقال لنا :

- « هذا كمين من نوع ما .. لقد وضعها فوق الباب بحيث تسقط فوق من يفتح .. وأعتقد أنه فر من النافذة بدوره وأغلقها خلفه .. كانت القارورة ستنفجر فيمن يحاول فتح الباب »

قالت (آن لیرای) وهی ترتجف:

- « حافظ على هذه القارورة .. سوف نحلل ما فيها » قلت في ملل :

- احتى من قبل التحليل . . أؤكد لك أنها تحتوى غاز السارين ! »

لقد فر (ناجوياما) ..

هل هو فى الكونغو أم دفع مالًا لبعض المرتزقة كى يهربوه عبر الحدود؟
لا أعرف الإجابة ، لكنى متأكد من شىء واحد : لابد أن فى جيبه قنينة مغيرة مثقوبة بها بعض البعوض ،، بعوض برىء المنظر لكنه يحمل وباء لا قبل للبشرية به .

هل يستعمله لمتعته الشخصية أم يبيعه لدولة ما؟ للأسف هذه أشياء لا نملك جوابها في سافاري.

د. علاء عبد العظيم كينشاسا

« تمت بحمد الله »

